آلاء مجــدي

لا يلتقيان

(قصص عنِ الحب لمْ تَرَ الحياة)

اسم الكتاب: لا يلتقيان

تأليف: آلاء مجدي

الإخراج الداخلي: القسم الفني بالدار

تدقيق لغوي: عبد الرحمن غريب

تصميم الغلاف: محمد علي

الطبعة الأولى: 2023

رقم الإيداع: 2022/23417

الترقيم الدولي: 7- 1- 86391-977-978





ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339

❤ إهداء..

أشعر بالامتنان لكل مَن قال لي كلمة تشجيع وآمن بما أحمله مِن موهبة وإن كانت موهبة بسيطة، وأشعر بالامتنان أكثر لمن أحبطني وقلل مما أفعله؛ لأنه زاد من ثقتي بنفسي وثقتي بقدراتي.

أُهدي هذا الكتاب لكل أسرتي

لأبي وما زرعه فيَّ مِن حب للقراءة والكتابة.

لأمي لما فعلته لأكون هذا الشخص بكل ما أنجزته في حياتي.

لأختي وروحي ونفسي وكل ما أملكه في دنياي.

لأخي متمنيةً أن يفهم ما أعنيه في كتاباتي.

لابني ليكون فخورًا بما أفعله يومًا ما.

وأخيرًا وليس آخرًا لبطل حياتي الخفيّ وسري وأسراري، لوطني الصغير وملجأي وملاذي إلى محمد.

وأيضًا...

إلى أصدقاء عمري، إلى مَن كانوا السند في وقت الضعف وكانوا الدعم في وقت الفرح.

❤ آلاء مجدي

فليتـــك تَحلـــو والحيـــاة مريـــرة

وليتـــك ترضـــى والأنـــام غضـــاب

وليـــت الـــذي بـــيني وبينـــك عـــامر

وبـــيني وبـــين العـــالمين خـــراب

تُنسَب إلى أبي فراس الحمداني

وشعرت بأن في روحي ثُقبًا . . . . ثُقبًا يتسع، ويمتص كل ذكرياتي وحياتي وأحلامي.

وددت لو كان شخص أعرفه بقربي؛ أحكي له كل شيء، أقُص عليه حكاية الثقب.

أحمد خالد توفيق

المقدمة

حياتنا ما هي إلا الكثير مِن الطرق والمحطات، فهناك طرق تُشعرنا بالأمان وهناك طرق موحشة تستنزف أنفاسك.

ليس بالضرورة أن يكون للطريق نهاية بل جائز يكون بداية لطريق جديد؛ فما هو إلا طريق طويل كمشوار الحياة.

***

حبوا بعضهما...

تركوا بعضهما

(١)

لستُ بتلك الفتاة الخجولة المنكسرة المظلومة من الآخرين،
لستُ تلك التي تثرثر بمشاكلها وأحزانها وبعض مِن الهموم التي
أثقلت ظهرها، لم أكن هذه التي تتباهى بأنها مسكينة وضعيفة
خدعها أحدهما في فترة ما في حياتها السوداء.

أعترف بأنني قوية حالمة، بعض الأحيان أشتهي لمتع الحياة تستطيع القول بأنني ما زلت ظمآنة، ولا أعتقد أنه طمع أو أنانية ولكنني عقلانية أكثر من كوني عاطفية؛ وهذا لا يعني أنني بلا إحساس ولكن عقلي يحركني يقودني يرشدني دائمًا.

كثيرًا ما ينتقدني من حولي يعتبرونني صلبة المشاعر جافة التعابير وأشياء مِن هذا القبيل، ولكنني مُقتنعة تمام الاقتناع بأنه رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه وأنا هذا الشخص؛ أعرف عيوبي أكثر من ميزاتي، أتعامل معاها بوضوح تام أُحاول قدر المستطاع إصلاح ما يمكن إصلاحه.

وُلدت في حياة لا بأس بها -طبقة تحت المتوسطة- نشأت بين أختين يكبرونني بعدة أعوام ليست بالقليل، وأب لا أحمل منه سوى

ملامح وجهي وباقي اسم في ورقة ميلادي، وأم لمْ أعش معها كثيرًا أحمل منها كل شيء، حتى ضحكاتها التي لا أعرفها، لم أتعلم منها شيئًا ولكني أشبهها في الطباع.. الكلام.. طريقة الضحك، وأيضًا طريقة الحزن أشبهها في الحياة لأنها الحياة، ذهبت ولكنها ليست بعيدة أراها كل يوم أُحدثها بأوجاعي وأفراحي، ولكن ما يؤلمني اشتياقي للاختباء بداخل حضنها للدِفء المنبعث مِن عينيها يكسرني إحساسي بالضعف دونها ويغلبني اشتياقي لها، رحلت مبكرًا قبل بلوغي مِقبض باب غرفتي رحلت تاركةً وراءَها وجعًا، لمْ أعد قادرة على تجاهُله تركتني في الفراغ كالكوكب يعيش مع مجموعته ولكنه وحيد أعزَل.

حياتي كانت مُتعثرةً نوعًا ما؛ فكانت معاناتي الحقيقية عند ذهابي للمدرسة هي ابتعاد مَن في سني عني، كانوا يخافون مني يتحاشون اللعب معي لمْ أكُن أعمل، أكان منظري يثير الخوف أم انطوائي سببًا في ذلك؟!

كنت أحس أنني لستُ مثل باقي الأطفال لم أجِد مَن يهتم بي.. يهتم بمظهري يُدللني أو على الأقل مَن يُلملِم خصلات شعري المُجعَّد، ولكن لمْ تكُن نهاية الحياة فما زلت أعيش وما زلت أفتقد الاهتمام.

توالت الأيام والسنين وكبرت أصبحت فتاة في سن المراهقة، في يوم مِن الأيام كنت أجلس داخل الفصل وإذا بمُدرِسة التربية الموسيقية تُنادي باسمي بأنني معها ضمن الفرقة المدرسية، ولدينا استعراض

سوف نُقدمه على مسرح المدرسة في الحفلة القادمة، لا أستطيع وصف فرحتي فأنا لم أفرح بشيء مثل هذا مِن قبل، ذهبت إلى البيت ولم أشعر بتعب الطريق مثل كل يوم ومِن يومها، وارتفعت معنوياتي للسماء نسيت كل شيء وبدأت التمارين ومستوايا الدراسي تَحسَّن، واستمرت التمارين لمدة شهر كان من أجمل شهور حياتي إلى أن أفقت مِن الحلم وكنت قد رجعت إلى الواقع.

كانت المُدرِّسة طلبت أن نُحضِر ملابس خاصة بالحفل (جيب قصيرة وقميص أبيض)، لا أعرف لماذا تبدلت فرحتي وقتها بحزن عميق، ولكنَّ شيئًا ما بداخلي اقشعر وأحسست بأنَّ الحياة تقرصني لكي أفِيق مِن حلم لا أعرف نهايته.

في طريقي للبيت كنت مُنكسة رأسي كأنني أعلم ما ينتظرني في طريق العودة؛ فكان الطريق طويلًا جدًّا شعرت يومها بأنني لن أصل أبدًا ولكني وصلت.

أنهيت واجباتي وقارب اليوم على الانتهاء فقررت انتظار أبي لإخباره بما تريده المُدرسة مِنا -بل ما أريده- على أمل أن يوافق..

أجلس داخل الغرفة متكورة على سريري الصغير أنظر لدبدوبي المُتهالِك أحدثه ولا أنتظر الرد، جاء أبي مِن عمله متأخرًا أسمع همساته بالخارج مع زوجته، يتحدثان عن أمور تخصهما ليس لي شأن بها فقررت

الخروج، أقف أمامهُ مترددة خائفة أنظر له بعين زائِغة، ليس لديَّ القدرة على الحديث ولكنه سألني بشدة فترددتُ قليلًا ثم تحدثت:

- بابا عايزة أقولك حاجة.

- خير يا سلمى جبتي الشهادة ولا ضايقتي حد قولي.

- لا مجبتش حاجة بس مس علياء عايزة أشتري جيبة وقميص أبيض عشان الحفلة.

- حفلة إيه دي بقى؟!

- عندنا فالمدرسة حفلة ولازم نلبس كده؛ ولو مجبتش مش هروح الحفلة.

- خلاص متروحيش عشان مش هجيب حاجة، مفيش حفلات ومفيش زفت واتفضلي ادخلي نامي.

"فَحياتي تُشبِه حلقة من الفراغ الكبير وأنا تائهة في المنتصف، لا أستطيع العودة ولكني أُعافر مِن أجل الاستمرار".

......

تخرجت مِن كلية الحقوق ليس حبًّا فيها ولكن هناك شيء يُدعى المجموع والتنسيق هما اللذان يتحكمان في قراراتك وأحلامك بعد

أسرتك، أمضيت أربع سنوات كانت أشبه بمعاناة مريض لا يعرف نوع المرض الذي يستوطنه، ولكن كان هناك شيء يُساعدني على الشفاء بطريقة غير مقصودة نوع جديد من السعادة العارمة لمْ أعتدها من قبل، رأيته أول مرة يجلس في طاولة أمامي داخل مطعم الجامعة، لا أعرف ما الذي جذبني إليه، لماذا ظللت أشيح بنظري عنه لأكتشف أنني أنظر مرارًا وتكرارًا كلما بعدت بوجهي، فتوبخني عيني للنظر لوجهه الطفولي مرة بعد مرة، ورائحته العطرة التي ما زالت تؤلمني كُلما شممتها صدفة.

كُنت أذهب للمطعم كل يومٍ ولكن بِلا فائدة كأنه لم يكُن له وجود مِن الأساس، إلى أن ظهر في يومٍ ما لمحته يأتي متجهًا إليَّ توترت وارتجفت أوصالي، حاولت التماسك لعله يريد شخصًا آخر غيري، ولكنه وقف أمامي مباشرةً وسكت العالم مِن حولي.. توقف الكون فجأة عَن الدوران ابتسمَ وجلس مواجهًا لي وبدأ في حديثه الذي حفظته عن ظهر قلب.

- صباح الخير، في حد قاعد فالمكان ده ولا فاضي؟

* لأ فاضي.

- طيب، إنتي معانا فالكلية صح وشكلك سنه أولى إسمك إيه؟

* هززت رأسي وتلعثمت في نطق اسمي "سا.... سلمى"

كنت أحس وجهي يحترق أو كاد ينفجر مِن ضغط الدم الذي أصابه، ما الذي فعلته لكي أبدو حمقاء بكل هذا القدر: بصي يا ستي أنا دُفعة أكبر منك بسنتين بس شلت كام مادة فبقيت أكبر بسنة واحدة بس أنا إسمي محمود، دلوقتي أنا ماسك رحلات الكلية وحجز الأتوبيسات في الكلية في رحلة آخر السنة رايحة إسكندرية إيه رأيك تيجي معانا؟؟

- إسكندرية!!

تبدلت ملامح وجهي مِن النشوة إلى البؤس الحزين تذكر حفلتي الموسيقية التي لمْ أحضرها، تذكرت يومها عندما جلست وحيدة داخل الفصل أبكي بعد أن رفضت مشاهدة العرض الذي كنت سأقوده، سكتت برهة ثم أوضحت له أنني سوف أفكر في الأمر ولكن لابد مِن عرض الموضوع على أسرتي وأنتظر الموافقة.

كنت أعرف مسبقًا بأن أبي لن يوافق على هذه الرحلة ليس خوفًا على شخصي، بل نوعًا من أنواع الانتقام لنفسه، لذة خفية تقبع بداخله تتحقق كلما رُفِض لي طلب كأنه يقول أحميها مِن شر الدنيا وما فيها، فسيغلق عليها أكثر كلما فكرت الشمس في بلوغ نافذتها.

ذهبت ذلك اليوم أصُب جُلَّ تفكيري في كيفية إقناعه بالذهاب، كنت حددت بعض الخطوات التي سأفعلها منها أنني سأضع ميزانية صغيرة بجانب مصروفي اليومي نتنازل عن بعض الوجبات التي أقتنيها مِن الجامعة، تنازلت أيضًا عن شراء الكتب المحببة لي توفيرًا للمال اللازم لا أملك.

إذا وجدت نفسك داخل حرب أنت تعي أفرادها وتعي أسلحتهم، فكن على استعداد دائِم للمواجهة على أتم الاستعداد لخوض هذه الحرب.

توالت الأيام مسرعة بعد أن تعرفت على محمود وأصبح يحتل الجزء الأكبر مِن حياتي وتفكيري، كل خطوة كنت أخطيها أو أنوي أخدها كانت لا بد أن تخضع لاختبارات وأيضًا تعرض عليه حتى يكتمل قراري، كُنا نعيش معًا حالة مِن مسكنات الألم، فهو يعي جيدًا بانجذابي إليه وتعلقي به وأنا أعي جيدًا بأنه لا يراني بوضوح.

تكلمت مع أبي وزوجته بخصوص الرحلة وللمفاجأة وافق، نعم وافق أبي على الرحلة بعد أن اجريت مُعاهدة صلح كاذبة مع زوجته؛ فقد كان لها السلطة العليا في إقناع أبي ولكن لابد من ذهاب أحدهما معي كنوع مِن العقاب المستتر؛ ولكي تتم المهمة بالنجاح اقترحت أن تذهب معي ابنة خالتي التي تصغرني بعامين، وبالفعل جرت الأمور على ما يرام ووافقت خالتي وابنتها -إنجي- وبدأت في تجهيزات الرحلة.

جاءتني إنجي ليلتها لكي نستعد سويًا للانطلاق في رحلة خارج أسوار القاهرة إلى عروس البحر المتوسط، كنت طوال الليل أتحدث مع محمود عبر رسائل الموبايل وترتسم على وجهي ابتسامة خجولة، تتمنع عن الظهور بعد وقت طويل انتبهت لوجود إنجي معي في الحجرة، وكانت تحاول بأن تُقنعني بأنها مشغولة في ترتيب أشيائنا؛ فهذه الفتاة خجولة جدًا ولكن الفضول يستقر داخل عينها؛ لتعرف مع من كنت هائمة في عالم آخر، ولكن ماذا أقول لها؟!

إن كنت أحكي مع فتى خيالي الذي أغرمتُ به ولا أعلم شعوره تجاهي، شخص اقتحم حياتي دون سابق إنذار واستقر داخل ضلوعي وامتزج بها.

قررت عدم البوح بشيء لا أعلم ماهيته ولا أعرف تفاصيله، مجرد إحساس يجتاحني بشراسة لا أعلم أهو مرض سيطر على أوصالي أفقدني الرشد، أم حياة جديدة تنتظرني في اتجاه آخر.

في الفجر تحركنا تجاه الأتوبيس الخاص بالرحلة أوصلنا أبي إلى هناك، واطمئن على جلوسي بجوار إنجي وتحركنا في طريقنا، كان محمود يجلس في المقعد الخلفي لي وكنت أجلس بجوار النافذة سمعته يهمس لي بصوته الحنون، بأنَّ شكلي في وأنا نصف مستيقظة يعجبه، توردت وجنتاي خجلًا ولمْ أعِ ماذا يقال في مواقف مثل هذه.

* سلمى إنتي صاحية؟

- أيوه مبعرفش أنام فالطريق.

- بصي هاجي اقعد جمبك وقولي لإنجي تيجي تنام على الكرسي ده.

بالفعل نفذت ما طلبه مني وجلس محمود جواري، كنت كالطفلة التي حصلت على لبس العيد وكل اللعب التي وُجدت للأطفال، أنظر له بعين حانية وأُطقطق أصابعي توترًا وفرحًا كنت أحس بمشاعر لا قدرة لي على وصفها ولكنني وصلت لعنان السماء.

حدثني كثيرًا عن حياته المتواضعة وأنه هو عائل الأُسرة بعد وفاة أبيه وهو في سن مبكر، وله أخت تكبره بخمس أعوام وهي متزوجة ولديها طفلان، وأنه حاليًا يعيش مع أُمه التي أنهكها المرض، تحدثنا عنه ونسيت بأنني موجودة كان كُل همي بأن أسمع أكبر قدر مِن الحديث عنه، حدثني أيضًا عن حبيبته التي تركته لأنه كثير الرسوب ولا يستطيع إكمال المشوار معها لأن طريقهما ليس واحدًا.

تعلقت به رغمًا عني لا أعرف كيف أو متى كل ما أعرفه هو تعلقي بشخصه.

"في مجتمعتنا الشرقي لكي تجعلها تعجب به اجعلها جزءًا من حياتك الماضية اجعلها تحس بأنها تملك الماضي وتعرف الحاضر،

وتخطط للمستقبل لكي تستطيع أنتَ بإيقاعها فريسة سهلة".

أصبحت حياته كلها أو هذا ما تخيلته مرت سنوات الكلية مسرعةً، وعشت بها أيامًا كثيرة مبهجة وأيامًا أكثر مؤلمة، وكان محمود يخطو معي في كل خطوة أنوي القيام بها حتى يوم تخرجي، كنت أشعر بأنني أتخرج مِن حياتي السابقة وتاركة كل شيء بما فيهم محمود، لا أعلم لماذا أحسست بهذا؟ مرَّ على تخرجي شهران لم أرَ محمود سوى ثلاث مرات، في كل مرة أُعاتبه على إهماله لي أو بالأحرى تركه لي، لا أعلم لمَ كل قصص الحياة تنتهي بنهايات أنتَ لمْ تُفكِّر بها.

استيقظت ذات يوم لأجد رسالة يحملها هاتفي القابع تحت وسادتي في محتواها: "حبيبتي سلمى تعلمين جيدًا حبي لكِ وأن أيامك هي أسعد أيامي، ولكنني لستُ بفارِس الأحلام المنتظر، لا أستطيع استكمال حلم لست قادرًا على السير فيه".

أحبك.. محمود.

تمت

(٢)

"حبيبتي سلمى تعلمين جيدًا حبي لكِ وأن أيامك هي أسعد أيامي، ولكنني لست بفارس الأحلام المنتظر، لا أستطيع استكمال حلم لست قادرًا بالسير فيه" .   أحبك.. محمود

كانت أوصالي ترتجف وأنا أكتب محتوى الرسالة، أحسست بأنَّ قلبي توقف عن الخفقان عندما ضغطت على كلمة إرسال.

لا أدري لماذا فعلت كل هذا؟

فكانت كلماتي قاسية، لم أُعطِها فرصة تدافع عن حبها وأن تتمسك بي، فقط أرسلت رسالة تنهي كل ما كان بيننا، كم كنت ضعيفًا لدرجة أنني لمْ أواجهها بل اختفيت وراء رسالة إلكترونية.

فقد تمكن اليأس مِن قلبي؛ ليتها تعلم بأنني خائف عليها، خائف مِن أنْ يتحول حُبنا لكره مقيت من أجل الظروف، فأنا رأيت أمي تَذبُل أمامي ويتبخر شبابها مِن أجل أن أحيا، لم يكن بيدي أية حيلة كانت حياتنا مُغلقة بمرور الأيام والظروف القاسية، ليتها تعلم بأنني لا أملك غير شهادة دراسية ووظيفة بسيطة وقلب تسكن هي بداخله.

أنا لستُ بذلك الشخص الذي تظنه، فالظروف هي من صنعت كُل هذه الحياة.

أعلم بأنها تراني الآن في أبشع صورة وبأنني مَن حطم فؤادها الرقيق.

شخص وثقت به ثقة عمياء وخدعها هو بالمقابل، كانت تعتبرني مثل الحمل الوديع ولكنني بتُّ ذئبًا غادِرًا.

لا أحب الخوض في حياتي السابقة فنظرات الشفقة التي تملأ عيون مَن يعرفون قصتي تقتلني، أصبحت أتوه بين العيون خشية أن ألتقي عينًا مُشفِقة على حياتي.

"مهما قال الآخرون بأنهم يعون ما تمر به وما تشعر به مِن مَرار فلا تصدقهم القول، فطعم المَرار لا يعرفه إلا مَن تُجرعه واعتاد طعمه".

لم أكُن أرى أي ملامح لمستقبلي فالحمد لله أنا مؤمِن بأن كل شيء بيد الله، ولكن لم أرد منك أن ترمي بقلبك في التهلكة فمصيري غير معلوم، وحياتي لا تعرف الاستقرار أنا شخص أخاف أن أكون مسؤولًا عن حياة كاملة؛ عن بيت وزواج وأطفال ليس لهم ذنب في أن يحيوا حياة مثل حياتي هذه، فالفقر كان وما زال بطلًا رئيسيًا لحياتي.

أناني ضعيف سلبي جبان أستطيع أن أقول الكثير والكثير من الصفات السيئة التي أعلم بأنني أمتلكها، ولكن أيضًا أمتلك قلبًا عطوفًا

قلبًا مسكينًا أنهكته السنين واستباحه الآخرون، تمكنوا من ضعفي واستغلوا انحناء ظهري، تخيلوا بأنني بلا مشاعر بلا كيان بلا حياة.

نويت الابتعاد منذ بداية معرفتي بكَ ولكن كان هناك ما يجذبني إليك، كنت كالنار المتوهجة إذا اقتربت منك احترقت من شدة الحب، وإذا قررت الرحيل تجمدت من ألم البعاد.

وهأنا أُعاني وحدي وأعرف بأنك لست على ما يرام وأدعو الله بأن تتعافى سريعًا، وتلتقي فارسك المنتظر.

حاولت نسيان الماضي وتخطيه ولكن عند أول سقوط أقابله انهار كالعقارات القديمة، وتحيي أمامي كل الذكريات وكأنها حاضر أعيشه، مِن الممكن أنْ ترى بأنني أُبالِغ في حديثي ولكن أنا أشعر بالمرار والأسى.

ليس هناك أي مُبرِر لما فعلته، وما أقوله ليس إلا نوعًا من اللوم والتأنيب لنفسي التي تعذبني في كل وقت؛ فالذكريات تهاجمني كل ليلة مِن بعد الفراق وتسلُخ روحي مِن جسدي وتطعن قلبي بطعنات الخذلان.

"الخُذلان هو أنْ تختارك فتاة لتحارب بك
الدنيا، فتحاربها أنت والدنيا"

نزار قباني

وأنا حاربتك يا فتاتي.

فالخوف كان قد تملك من قلبي وسيطر على أوصالي، كانت مشاهد حياتي السابقة تراودني كثيرًا تجمعت كل الأفكار السلبية بداخلي، وتخيلت بأنني أفقد حبك وأنتِ تفقدين شغفك فالحياة بسبب كوني بها.

كان أهون لديَّ بأن أنسحب مِن حياتك وأنا أحملك بداخل كل ذرة بقلبي على أن أكون صانع قيودك الحديدية.

دعني أُحدثك عَن جزء بسيط مما مررت به، كرهت التعليم، والأيام الدراسية كانت كحمل الجبال على ظهري؛ ليس لضعف مستوى تفكيري ولكن للظروف القاسية التي عشت بها.

كنا إذا تناولنا ثلاث وجبات فإننا نعيش في أوقات سخاء، فكُنا فالمعتاد نكتفي بوجبتين ونترك العشاء للنوم فهو كفيل به، ليس هناك رفاهية شراء حذاء جديد لانقطاع القديم ولكن هناك دائمًا ما يُدعى (مد لحافك على قد رجلك) وإذا انقطع القديم فالتصليح أولى به.

كُنت في المرحلة الإعدادية وأصرت أمي بأن ألتحق بدرس تقوية عند مدرس خصوصي مع مجموعة مِن الطلاب، كنت أدفع مقدمًا مما تدبره أمي لي ولكن هذا حسب الظروف والمعونات الخارجية، وكثيرًا ما كنت أتخطى بداية الشهر ويتأخر معي ميعاد الدفع في مرة من المرات

طردني المدرس بعد أن أسمعني كلامًا مهينًا وكأنني سارق لممتلكات نفسية، حاولت أن أقول له بأن لي ظروفًا خاصة وبأن والدي متوفّى ولكنه أبى أن يسمع، واستمر في وصلة اللوم والتهزيق بل بأنه عاقبني بالضرب على يدي حتى لا أنسى مرة ثانية، وتغيبت عن الحصة اللي تليها إلى أن جمعت أمي المبلغ وكنت تعودت على مثل هذه الإهانات، فكنت تلقائيًا أتغيب عن أول أسبوع من كل شهر لعدم سداد المبلغ.

وغير ذلك كان زملائي يطلقون عليَّ لقب -أبو جاكيت جينز- لأنني لا أرتدي غيره.

كثيرًا ما كنت أصب كل غضبي على أمي ومرارًا ما وبختها ولومتها، لم أكن أعي ماذا أفعل ولكن هي نعم الأم، كانت دومًا وما زالت تحتويني بين أحضانها وتهون مَن وضعنا، وتقول بأن الفرج آتٍ وبأنَّ الحال مستحيل أنْ يدوم بهذا الحال.

كُنت في مرحلة تحول بشعة وهي قتل البشر لكل ما هو جميل بداخلي وتحولي لشخص ناقِم على الحياة، كاره كل ما أعيشه لا أرى غير اللون الأسود.

وفعلت مع سلمى ما حدث معي فأنا من قتلتك بدم بارد أنا من خذلتك وجعلتك تتذوقينه كما تذوقته مسبقًا.

بعد معاناة والكثير مِن الكفاح أنهيت الثانوية العامة بأعجوبة وأصبحت على أبواب مرحلة جديدة، ولم تكن تختلف كثيرًا عما مررت به سابقًا من ظروف صعبة، فكنت كثير الرسوب ليس لعدم قدرتي على اجتياز الاختبارات بل لأنني لم أكُن أحب الذهاب للجامعة، وكنت أتخلف عن حضور المحاضرات والامتحانات، فكنت أحسب بأن ما أفعله هو الصواب.

استمر هذا الحال على مدار عامين ونصف كنت أعمل جاهدًا أي عملٍ، كان في المحلات، المطاعم، سيارات أجرة، مندوب توصيل، وكانت لي أخت تصغرني بعام لكنها في الدراسة أصبحت على وشك التخرج، وأيضًا كل أصدقائي أكملوا مشوارهم في التعليم، كنت قد أنهيت عملي وفي طريقي للمنزل، وكانت الأفكار تضرب برأسي وتطاردني.

إلى متى سيكون الحال كما هو؟!

في الصباح كنت قد قررت باستكمال حياتي الدراسية مع استمراري في العمل، وبالفعل واظبت على حضور المحاضرات وتفاعلت في الكلية وكنت من الطلاب المتفاعلين مع الأنشطة الطلابية، فوجدت هناك حياة جديدة غير التي اعتدتها، وفجأة تغيرت حياتي كلها عندما قابلتك.

سلمى أنت كنور الشمس في الوضوح كهدوء القمر في السكون كالطبيعة الجميلة والبساطة، لكِ من الطموح ناطحات سُحب لا ترى بالعين، ترفضين الاستسلام، قوية تسعين لملك الكون داخل قلبك، لديك من الأحلام الكثير والكثير كنت بجانبك، وأنتِ تحققين ما استطعتِ تحقيقه وسأكون حاذرًا بروحي، وأنتِ تحققين كل ما تتمنينه ولكن هناك فارس حقيقي لأحلامك ينظر وبكل الأسف هو ليس أنا...

تمت

أهواك بلا أملٍ

(١)

أعتقد بأنَّ سبب تسميتي بفريدة هو أنه لديَّ من الإخوة الذكور ثلاث وكنت آخر العنقود كما ينادونني دومًا، فكنت المختلفة في النوع ومختلفة الشكل، ليس غرورًا ولكن أنا بالفعل جميلة تحب العين أن تراني وإذا عرفتني أحببتني أكثر ما تحبني.

لم أكُن أُشبه أحدًا من إخوتي فلون بشرتي مُختَلِف عنهم وأيضًا أمتلك مِن العيون الملونة قدرًا من الجمال، لست من محبي الصخب والازدحام أميل للعزلة قدر الإمكان، أعشق الانفراد بنفسي داخل حجرتي الصغيرة التي امتلكتها عندما أصبحت في العاشرة من عمري؛ حيث إنَّ أمي وأبي قررا أن يجتزأ جزءًا مِن صالة المنزل لتخصيص غرفة لي وحدي؛ لأنني على وشك التغير وفي القريب سأكون الآنسة فريدة هانم.

ترعرت في منزل صارم نوعًا ما ولكنه حنون، وفوق كل ذلك كنت المُدلَّلة المُتربِعة على العرش فأنا البنت الوحيدة والصغيرة تستطيع أنْ تقول بأنَّ كل أوامري تُنفَذ دون التفكير فيها إلا في أمر واحد، مَن سيكون المَلِك المُتوَّج الذي سيفوز بالمِلكة فريدة.

أعتقد كمُعظم الأُسربأنهم يُفرطون في تدليل الطفل الأصغر أو الطفل الذي يختلف في النوع عن إخوته؛ فأنا كنت أحمل تلك الصفتين آخر العنقود وكنت الابنة مع وجود ثلاثة من الذكور؛ لذلك فأنا حظيت بالكثير والكثير وما زلت أحظى.

على الرغم من الأحداث والمشاكل التي مررت بها مع أهلي إلا أنني عندما أتكور بداخل غرفتي، أتذكر الكثير من الذكريات الجميلة التي أحملها في طيات قلبي وتتقافز لذاكرتي دومًا معلنة عن وجودها الدائِم بداخلي؛ فمنذ عدة سنين كنت صغيرة نوعًا ما ولكني أتذكر هذا الموقف -وهناك مواقف كثيرة- وكأنه حدث بالأمس طفلة فرحة بقدوم العيد ولكنه عيد الأضحى، أو كما كان والدي يعتاد يقول لنا مازحًا "ده عيد لحمة يعني مفيش عيدية"، ولكنه كان كلامًا لا أكثر فأنا الآن في نهاية العشرينيات من عمري، وما زلت الطفلة الصغيرة التي تنتظر العيدية وبالأخص منه هو.

أعلن العيد عن القدوم وبدأت أمي في تحضير كل شيء وتجهيز المنزل بكل ما يقول بأنَّ العيد قادم، وكأنه ضيف عزيز على القلب كنت ألعب في حجرتي وأُجهز ملابسي الجديدة كما هو مُعتاد، ولكن ينقصها شيء صغير وهو حذاء جديد ليتماشى مع الملابس، كان أبي يرى بأنه أتى لي بواحد آخر في العيد الصغير، وليس من الضروري أن يشتري

آخر وخصوصًا أنني سأكبر وسيصبح عديم الفائدة -تفكير منطقي- وكنت أرتدي ملابسي الجديدة كل ساعة تقريبًا، وأستعرضها أمام عائلتي وكأنني أسير على البساط الأحمر وأيضًا كان ينقصني ارتداء الحذاء، ولكن ليس لأنني أرفضه ولكنه ليس بجديد وهم يعرفون شكله مسبقًا فليس من الضروري ارتداؤه.

كانت أمي في كل مرة تراني بملابس العيد الجديدة تقول لي: "الهدوم كأنها متفصلة عليكي ربنا يحميكي"، وفي ليلة العيد كنت في غرفتي أستعد للعرض التقليدي للملابس، وكنت على أهبة الاستعداد للخروج وقد سمعت أمي تتحدث مع أبي:

أمي: بقولك إيه يا هشام إحنا لازم نجيب لفريدة جزمة جديدة.

أبي: إشمعنا يعني هي قالتلك حاجة؟

أمي: لأ؛ ما إنتَ عارف هي مبتطلبش زي العيال بس أنا قلبي مش مطاوعني منجيبش، وبعدين ما إحنا جيبنا الطقم كله مجتش على الجزمة يعني.

أبي: ودي هنجيبها إمتى؟ العيد الصبح والدنيا زحمة دلوقتي، بس ربنا يسهل.

وبالفعل كان الحذاء الجديد يسكن غرفتي قبل حضور العيد إلينا،

لا أنكر بأنَّ من داخلي كنت أرقص فرحًا بهذا الحذاء ليس لكونه جديدًا ولكن كونه مميزًا ولمعرفة مِقدار الحب الذي يُعشِّش بداخل أبي وأمي لي.

مرت الكثير من السنين وتفاجأت عندما قالوا لي بأنَّ اليوم عيد ميلادي الواحد وعشرون حقًا! متى كبرت وكيف؟ كانت السنة الأخيرة لي في الجامعة وبالطبع هناك ما يسمى بمشروع التخرج، كنت منهمكة من أجل إن أُنهي كل شيء على نحو ممتاز فبعد تقسيم المهام علينا كفريق عمل، كان من نصيبي تحضير وطباعة العديد من الأوراق الخاصة بالمشروع؛ لعرضه على اللجنة المتخصصة في الكلية.

كُنت في طريقي لمكتبة الجامعة وكان تركيزي قارب على الانتهاء منذ يومين، لمْ أذق للنوم طعمًا وصلت للمكتبة واستجمعت كل ما تبقى مِن تركيز، وإذا بالفلاش ميموري التي تحتوي على كل شيء خاص بمستقبلي ومستقبل زملائي ليست بحوزتي يا حماقتي، أين ذهبت هذه الملعونة فتشت في كل شيء أحمله وكل شيء أرتديه، كان قلبي يصرخ من داخلي وكل شيء سلبي كان يرقص أمامي؛ فالمناقشة في الغد وإن قررت إعادة كل شيء فهذا محال لقد مكثت نصف عام لتحضير كل هذا، ولكن لا ألوم غير نفسي فأنا من وضعت كل شيء على الفلاش ميموري عن طريق النقل وليس النسخ، وبالطبع لا أحمل نسخة أُخرى وللأسف مِن قلة نومي وفقد تركيزي.

جلست على الأرض وبكيت بحرقة كمن فقدت عزيزًا استمر هذا المشهد العديد من الدقائق، إلى أن تنفست بهدوء وقررت عدم البكاء على اللبن المسكوب والتفكير في حلول سريعة توجهت إلى الفور للكافيتريا الخاصة بالجامعة؛ فهي آخر مكان كنت أمكث به وبالفعل ذهبت مسرعةً وعندما وصلت أخذت أبحث في كل اتجاه وأسأل كل من أراه أمامي، ولكن دون جدوى فكان الأمل في العثور عليها ينهار وكنت أنهار معه إلى أن جاءني من يعمل هناك، وقال لي بأنَّ هناك شابًّا عثر عليها وقال بأنه سيبحث عن صاحبها، فقالت له: "أتعرف اسمه شكله في أي كلية كان"؟ ولكن الإجابة جاءت بالرفض وقال لي هناك الكثير من المفقودات تحدث بشكل يومي، واقترح أن أعرض مواصفات ما فقدت وأين فقدته على الصفحة الخاصة بالجامعة على مواقع التواصل الاجتماعي، وبالفعل وجدتها طوق نجاه ونفذت ما قاله وذهبت إلى منزلي محبطة حزينة.

كنت أترقب التعليقات على ما كتبته ولكن دون جدوى قارب اليوم على الانتهاء، وكان زملائي في حيرة من أمرهم وتلقيت من اللوم والعتاب ما يكفي لسنين قادمة، أصبحت مُراقبتي للتعليقات ثقيلة جدًا وأصبحت أُراقبها كل ساعة بدلًا من كل ثانية، وثقلت أكثر وتركت هاتفي بعد أن كتبت رقم هاتفي وأغلقت شاشة الهاتف، واستسلمت

لنوم عميق كان الساعة تعلن عن بدأ يوم جديد وكان هاتفي يصدر صوته المعتاد، ولكن هذا رقم لا أعرفه لم أتردد في الرد فهذا هو الأمل المنتظر على الفور اعتدلت من نومي وكان ما كان.

* أل.. للوو (كان صوتي يحدث رعشة لا أعرف سببها أكان توترًا أم انتظارًا لخبر قادر على أن يُحييني).

- أيوة؛ كنت قريت بوست اللي حضرتك كتب...

قاطعته قبل أن يُكمل حديثه وقلت له: أيوة أيوة أنت لاقيت الفلاشة؟

كان يضحك بصوت جميل ارتبكت فور سماعها أحسست بأنَّ وجهي يحترق مِن الاحمرار وبأنه يراني، فتراجعت قليلًا عن أُسلوبي وقلت له: آسفة جدًا بس الفلاشة عليها حاجات مهمة أوي ومعرفش إذا كانت معاك ولا لا.

- لا معايا متخفيش تحبي إجبهالك إمتي وإزاي؟

* لو ينفع بكرة الصبح الساعة سبعة ونص في مكتبة الجامعة يناسبك؟

- مع إنك هتصحيني بدري بس ولا يهمك.

أنهينا المكالمة وكنت أطير رقصًا على الأرض حقيقة لا أعرف

أكُنت أرقص مِن فرحتي بعودة المفقود، أم لأنَّ قلبي قال بأنَّ هناك زائرًا سيأتي عن القريب العاجل.

لمْ أنم في ذلك اليوم، جلست أتخيل كثيرًا كيف يكون شكله وضعت ملامح مبدئية في خيالاتي وجهزت ماذا سأرتدي وتحضرت جيدًا؛ فالغد هو يوم عصيب هناك مناقشة لمشروعي وبداية لمستقبلي الجديد.

أصدر هاتفي نغمة خاصة بالمنبه الذي يوقظني دومًا كنت قد ارتديت ملابسي مسبقًا، فأنا لابد لي من الذهاب مبكرًا لطباعة الأوراق الخاصة بالمشروع.

كنت أول الواصلين إلى مكتبة الجامعة ولمْ يكُن يقف معي إلا مَن يعمل بها، كنت أجلس خلف بوابة كبيرة مِن الزجاج الذي يعكس الرؤية فأنا استطيع رؤية مَن بالخارج ولكن من بالخارج لا يستطيع رؤيتي، فبعد مرور خمس دقائق من انتظاري كان هناك شاب له هيئة مميزة يأتي وكله خطى ثابتة ولوهلة انتابني شعور بأنه مَن يحمل معه مستقبلي وقد كان، كان يرتدي قميصًا لونه لون السماء خالية السحب وبِنطالًا غامقًا يميل إلى فئة الجينز، وحذاءً وكأنه جاء به مِن المصنع في الحال.

تردد في البدأ بالحديث معه ولكن أنا لا أعلم هل هو مَن يحمل معه الفلاش ميموري أم لا؛ فأنا حتى لم أسأل عن اسمه ما يكون فسأنتظر إذا كان هو أم لا.

وقف ثواني معدودة على بوابة المكتبة وكان يُهندِم مِن هيئته، وعلى الفور دخل وأخذ يمسح بعينه الأركان مسحة سريعة إلى أن استقرت عيناه بداخل عيني، فأصابني بارتباك جعل عيني تهرب إلى مكان آخر وشعرت كأنه اخترق قلبي.

كان قريبًا مني كقاب قوسين أو أدنى واقترب أكثر وعلى ملامحه الهدوء، ثم قال: فلاشتك أهي أتمنى ميكونش ضاع منك حاجة تاني، وكان يبتسم ابتسامة مع إيماءة بسيطة لرأسه.

تاه الكلام مني فهو لمْ يُعرِّفني على نفسه ولم يسألني إذا كنت أنا المرجوة أم لا، مَن هذا الغريب الذي يتحدث وكأنَّ بيننا من العمر أزمان!

تنفست الصعداء وقلت له: الحمدلله أنا كويسة وأنا فريدة صاحبة الفلاشة فعلًا ومتشكرة جدًا ليك، سحبت من يديه ما كنت أريده وتوجهت على الفور لطباعة ما أُريده وتركته يقف حائرًا ثم شعرت بأنني لا أملك مِن الذوق ربع ذرة، فتوجهت مسرعةً له ودعوته للذهاب معي لحضور مُناقشة مشروعي وأيضًا حضور الحفل الذي سنُقيمه بعد المناقشة، دعوته كنوع من أنواع الشكر وأيضًا لإحساسي بأنني لم أكُن لطيفة معه وهو مَن أنقذني.

لم يأخد وقتًا طويلًا، صمت لحظات قصيرة، ثم قال بأنه سينتظرني في الخارج وسننطلق فور انتهائي مما أقوم به للذهاب سويًا.

انتهيت من طِباعة الأوراق ولملمت أشيائي وتوجهنا إلى الحجرة الخاصة بمناقشة مشروعي، كُنت متوترة قليلًا مرت ثلاث ساعات وقد انتهى اليوم وسأنتظر النتيجة عند انتهاء العام الدراسي كباقي المواد، كان مجهول الهوية قد اقترح أن نجلس معًا في الجامعة للاحتفال بنهاية العام ترددتُ في الإجابة، ولكنني وافقت وأصابتني الصدمة لأنني لم أسأله بعد عن اسمه.

أكُل هذه الساعات قضيناها ولم أسأل عن أهم شيء؟!

ولكن بسيطة في طريقنا للكافيتريا الخاصة بالجامعة توجهت فورًا بسؤاله ما اسمك؟

ضحك كثيرًا لدرجة تجمعت الدموع بداخل عينه وقال لي اسمي مازن يا ستي، أنا نسيت أصلًا إننا متعرفناش قصدي إن أنا معرفتكيش بنفسي.

جلسنا وتبادلنا أطراف الحديث سويًا لا أنكر بأنه جذاب وممتع ومثقف، ولا أستطيع أنْ اتجاهل نظرة الإعجاب الذي كان ينظرها لي.

جرت الأمور سريعةً فيما بيننا كان يكبرني بعام وقد تخرج مِن نفس جامعتي، وقال لي إن القدر هو مَن جمعنا فكان في اليوم الذي أضعت فيه الفلاش ميموري في الجامعة يستخرج شهادة التخرج الخاصة به؛ من أجل الوظيفة التي حظي بها موخرًا ولكن الموظف المسؤول عن هذه الوظيفة كان ينهي بعض الأشياء وطلب منه أن يعطيه مهلة من الوقت، فذهب مازن إلى الكافيتريا حيث كنت أجلس أنا وعند انتهائي مِما كنت أفعله لملمت كل ما أحمله وانطلقت مسرعةً وتركت هذه القطعة المعدنية الصغيرة، كان هو يرى كل شيء بوضوح وتوجه لمكان جلوسي واحتفظ بها وسأل العاملين بالمكان إذا كان منهم مَن يعرفني، ولكن لمْ يكُن مَن يعرفني وتوالت الأحداث فيما بعد.

كانت علاقتنا تشبه العلاقات الكاملة الخيالية فكلانا وُلد في نفس اليوم وأيضًا في نفس الشهر، لنا من الصفات المشتركة الكثير والكثير تعرف على أمي وكانت علاقتهما رائعة كل شيء، كان يسير مسرعًا ورائعًا ولكن كان هناك شيء بداخلي يصرخ بأن هذه الحياة ليست لي ليس هذا ما أتمناه، كان الشعور بالخوف والقلق يسيطر على كل دواخلي، قبل أي قرار وكل شيء أخوضه مع مازن كنت أُفكِر كثيرًا لم أكُن على سجيتي، لمْ أعطه يدي وأغمض عينيَّ وأقول له أثق بك فأنا أرى بقلبك أنت.

تمنيت من الله كثيرًا أن يعينني على هذه الحرب التي أخوضها مع نفسي كنت خائفةً؛ خائفة جدًا لدرجة أربكت تفكيري وجل تصرفاتي أخائفة مِن أن أُكمِل حياتي وأنا أحمل كل هذه التوهة أُم خائفة أن أفقد مازن!

مر على علاقتنا ثمانية أشهر كاملة ومنذ أسبوعين تغير مازن مثلما تغيرت أنا، ولكنه اختفى تمامًا لم يكن يجيب على هاتفي بحثت عنه مع أصدقائه، قالوا لي لمْ يره أحد أو هو مَن قال لهم يعطونني هذه الإجابة، انتظرت كثيرًا أن يظهر في بداية الأمر كنت قلقة من أن يكون قد أصابه مَكروه، ولكن نوعًا ما أزحت هذه الفكرة عن تفكيري فلم يذكر أي شخص من المشتركين بيننا عن شيء من هذا القبيل، وبعد اختفاء دام لقرابة الشهر وبعد الكثير والكثير من المحادثات الإلكترونية التي كُنت فيها المتحدث الوحيد، ظهر وأخيرًا لينهي شيئًا كنت أشعر به دومًا.

هاتفني ويبدو من ملامح صوته بأنه في حال جيد كانت المكالمة غريبة نوعًا ما، فأنا لم يكن لديَّ ما أقوله وأعتقد هو أيضًا كان يشعر بما أشعر به، تحدثنا قليلًا عن بعض الأمور التي حدثت في غياب كِلانا من حياة الآخر، صمتُّ وكنت جيدة في الاستماع ثم قرر أن يُنهي ما بدأنا ولأن علاقتنا كانت قائمة على الصراحة والصداقة؛ قرر أن يكون صريحًا حد الوقاحة، قال إنه تعرف على أُخرى منذ أربعة أشهر وكانت

كغيرهم لا أكثر ولا أقل، إلى أن رأى فيها كل شيء مُختلِفًا رأى بأنها النقيض له سحبه التيار لها واندمجا معًا كروح واحدة، أحس معاها ما لم يحسه مِن قبل وقرر أن يختفي عنا نحن الاثنتين ليقرر أي طريق سيسلُكه، وها أنا أقف أستمع أبتسم وأطوي صفحات انتهت من حياتي.

انتظرت أن نُنهي علاقتنا في يوم من الأيام بشيء أقل وطئًا مِن ذلك ولكنه قتل روحي وتركني محطمة.

تمت

(٢)

رُبَّ صُدْفَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مِيعادٍ وَكُنتِ خَيْرَ صُدْفة وخَيْرَ مِيعَادٍ

لن أُنكر بأن الحب زارني حين رأيتك وكان قلبي يرقص فرحًا، وكأنني رأيت ما كنت أبحث عنه بعد سنين تيه في الأرض، كنتِ كمن اقتحم حياتي دون سابق إنذار كنتِ فريدة وستظلين فريدة في قلبي مدى العمر.

أعرف بأنني جرحتك جرحًا لا يُغتفر مع أنني كلي يقين بأن هذه الخطوة كانت لابد منها، ولكن كان الأسلوب والطريقة شيئًا مريعًا؛ ربما أردت أن أقطع كل سبل الوصول إليك أو تخيلت بأن هذه هي الطريقة المثلى للانفصال أو أنني انجرفت لشخصٍ آخر.

منذ ما يقرب من عدة أشهر اقتربت من العام كنت في طريقي لاستخراج أوراقي من الجامعة، عندما ذهبت لمكتب السكرتارية لم أجد أحدًا.. كان كل الموظفين في اجتماع سينتهي بعد النصف ساعة ذهبت للانتظار في الكافيتريا الخاصة بالجامعة ورأيتُكِ، كنتِ تجلسين في هدوء وصمت منهمكة في إعداد ما تفعلينه، كمن يُجهِز أكلة جديدة حتى لم تلاحظي وجودي على الرغم من خلو المكان نهائيًّا إلا مِن سوانا، كان

هناك ما يجذبني إليك لا أعرف ما هو أكانت روحك هي من تنادي روحي أم قلبي هو من كان مشتاقًا لسماع قلبك؟

لم أكن بهذا الفضول والتطفل يوميًا ما لا أعرف لماذا ظللت أتأملك وكأنك لوحة مرسومة منذ زمن بعيد، كنتِ تستعدين للمغادرة وتلملمين أشياءك كنت مترددًا في التحدث إليك استمر التردد ملازمني، وانهمكت في تخيل حوار وهمي بيننا أو كيف سأبدأ الحديث بالفعل، كنت قد اتخذت القرار بالقيام والتحدث معكِ ولكن كنتِ اختفيتِ كالحلم، لا أعرف متى وكيف ولكنك لست في مكانك، بل وجدت شيئًا صغيرًا على المنضدة الرجاجية وكأن القدر يكافئني ويضع في يدي بداية الخيط للوصول إليك، ولكن كانت كالإبرة في كوم قش فأنا لا أعرف مَن تكونين!

كنت مُنشغِلًا طوال اليوم في إنهاء أوراقي ونسيت أمر الفلاش ميموري الذي وجدته في الصباح، وعندما ذهبت للمنزل بعد يوم طويل ومرهق تذكرت على الفور، وظهرت ابتسامة خفيفة على وجهي تنبئني بأن أبدأ مرحلة البحث، كنت جالسًا أمام هاتفي المحمول على موقع الفيسبوك متفحصًا الوجوه، ولكن لا أعرف اسمك حتى ولكن دخلت على جروب الجامعة ووجدتك غارقة في حيرة واستنجاد، تسألين عن المفقود منكِ وأحسست بأنني أنا المفقود وأصابتني التوهة

أأُرسِل إليك برسالة أم أهاتفك لسماع صوتك؟ تردد كالعادة ولكن سريعًا كتبت الرقم وكانت الأرقام تتراقص أمامي، ودقات قلبي تتسارع ويضيق نفسي من التوتر ولكن لم يطل كل هذا لأن صوتك فاجأني سريعًا، كنتِ متوترة لا أعرف التوتر كان لرؤية رقم غير مسجل في قائمتك أم هي عاداتك التوتر من المكالمات الهاتفية فالعموم؟

لم أقل أي شيء ولا حتى أديت التحية بل دخلت في الموضوع، ولكن قاطعتِني سريعًا فضحكت من رد فعلك السريع غير المفهوم، ولكنني أحسست بأنه أصابك الحرج فاعتذرتِ وأكملنا الحديث ولم تمضي سوى دقيقتين وأنهينا المكالمة واتفقنا على مقابلة الغد، لم أذق النوم على الرغم من تعبي طول اليوم ولكن جهزت ملابسي وجلست أتحدث معكِ في خيالي، لقرب الفجر تحدث في كل ما يخصني كنت مترقبًا هذا اللقاء وكأنني ذاهب للتقديم في وظيفة أحلامي، كنت أحدث صورتك في الصفحة الخاصة بك على الفيسبوك أتأمل ملامحك، وكأنني سأخوض اختبار رسم في ملامح وجهك كنتِ وما زلتِ جميلة رقيقة فريدة، وكانت عيناك تتحدث قبل شفتيكِ، كنتِ وما زلتِ وستظلين موجودة وغائبة.

أصدر المنبه أصواتًا تعلن عن وصول الشمس والميعاد المرتقب، لم أستغرق وقتًا طويلًا وكنت في كامل هندمتي، ووضعت الكثير من العطر على ملابسي وذهبت لرؤيتك ليس لإحضار ما تريدينه.

كُنتِ كالشمس في نورها ساطعة تغطي على كل ما كان حولك، طفلة بريئة صغيرة متوترة عندما دخلت للمكتبة، كانت عيناك قلقة تقطع أشواطًا إيابًا وذهابًا تبحثين عن مستقبل ضائع، عرفتك منذ الوهلة الأولى ولم أتردد في التخمين فكنتِ قد حفرتِ صورتك مسبقًا بعقلي ولا أعلم ماذا فعلتِ بقلبي يا صغيرة.

تركتينِ ثواني قليلة وكنتِ تستعدين للرحيل شعرت بغصة في قلبي، وكأن كل ما حملته بداخلي من بدايات هائمة لكِ تطير، ولكنك عدتِ مسرعة للتحدث معي ثانيًا ودعوتِني لحفتلك وأنا انتهزت الفرصة، كل تفاصيلنا يا فريدة أنتِ تعلمينها علم اليقين، ولست في حاجة للقول بأنني كنت سعيدًا بحياتنا ولا أستطيع أن أرمي اللوم كله عليكِ ولست شجاعًا لقول إنني خسرتك.

كُنا كمن فقدا الطريق وتاها وتقابلنا في منطقة محايدة كلٌّ مِنا يبحث عن طريقه وتعارفنا، وأصبحنا من العشاق ولكن حدث ما كنا نريده وجد كل منا طريقه وذهب، تخيلنا بأننا نستطيع العيش مرة أخرى بعد ما خضناه، بأننا كنا رفاق طريق لا أكثر ولكننا كُنا نسكن أرواح بعضنا دون أنْ ندري.

"وأشق الحروب هي حرب الإنسان مع نفسه"

مصطفى محمود

فكانت الحرب بيني وبين نفسي وصلت لذروتها بين ما أنا أريده وبين ما أخشاه، فكنت أخشى بأن ينتهي الحب بيننا تصورت بأن الملل سيكون صديقًا مُقربًا لعلاقتنا، باعتبار أنني انعكاس لصورتك في المرآة وللحق كنت أراكِ بريئة لدرجة تخيفني، وكنت أراني العكس في هذه النقطة كنتِ الملاك وكنت أنا المختال بنفسه، أحب الحياة بكل ملذاتها وأيضًا أخشى الله وأعبده، كنت أجمع بين كل شيء ونقيضه، أحبك ولكن أشعر بالملل في هذه العلاقة، أتمنى أن أجعلك مثلي ولكن ضميري يؤلمني.

كنتِ أيضًا تتغيرين وتصبحين أكثر انطوائية لمْ أكُن أعلم أتحبينني فعلًا؟ أم كنت أنا المتطفل في هذه العلاقة، كنتِ تهربين كثيرًا من نظراتي خشية مِن أنْ أقرأ ما بهما وتخيلت بأن هذه هي القشة التي قطعت حبال علاقتنا، ولم أُعِرك أي أهمية وسريعًا ما تعرفت على غيرك، وأعلم علم اليقين بأنكِ كنتِ تحاولين الإجابة عن الكثير من الأسئلة تحاولين البحث عني ولكني كنت أجيد الاختفاء فهربت.

أعلنت تمردي عليكِ وعلى حبنا دون إرادة مني، لا أعلم أكُنت ضعيفًا لدرجة أنني أخشى حبك فتركتك.

تمردتُ وأعلنت الحرب يوم أعلنت بأن هناك من احتل مكانك في حياتي، ولم أكتفِ بذلك بل غرست خنجرًا مسمومًا في قلبك وتركت تنزفين بلا رحمة.

أعرف بأن السماح والغفران ليسا أشياء أستحقها ولكن أنتِ من ملكتِ قلبي وما زلتِ.

لأنك فريدة.

تمت

سألوني الناس
عنك يا حبيبي

(١)

فأنا فتاة تشبه الكثيرات أبلغ من العمر الكثير -في نظر المجتمع الذي أنتمي إليه-، سأتم عامي السابع والثلاثين وأيضاً على وشك وضع مولودي الأول من شخص آخر غيرك يا منصور.

أطلب منك السماح والغفران فقد غلبني الشك ولم أكُن أثق بيقيني كل الثقة، فأنا خنت نفسي وخنتك بالتخلي عنك وشق طريقي ومواصلة حياتي دونك؛ ولكن لا تظلمني وتلقي بكل هذه الاتهامات دون سماع الدفاع؛ فأنت لا تعرف ما مررت به طوال كل هذه السنين لا أخلق المبررات والأعذار الواهية؛ لكي أنول العفو منك ولكن حياتي الآن ليست في أفضل حال، فأنا أريد أن أقص عليك بكل ما حدث لي في غيابك ولكنني لا أستطيع فطريقنا ليس له ملتقًى.

لكَ كل الحق في أن تقبل كلامي أو ترفضه ولكن دعني أوضح أولًا ما حدث منذ عشرة أعوام مضت، لقد تركتني منذ زمن بعيد بعد أنْ وضعت خاتمًا بسيطًا في إصبعي ورحلت على أمل الرجوع بعد عامين، من أجل إتمام الزواج بي كما حلمنا سويًا، ببناء منزلنا الكبير

الممتلئ بكل ما نحبه من أثاث وأطفال، مثل ما رسمته لي في دفتري الذي ما زلت أحتفظ به حتى الآن، تركتني وكنت قد أتممت السابع والعشرين من عمري، تحملت الكثير والكثير يا منصور تحملت مضايقات أهلي لي عندما اختفيت فجأة، وأنا لا أعرف لكَ عنوانًا ولا أعرف إلى أين ذهبت بالتحديد.

بحثت عنك كثيرًا في كل الأماكن وعند كل المعارف عندما تأخرت أول شهر ولمْ تحدثني، قلقت عليك وانقبض قلبي إلى أن وصلت إلى المكتب الذي ساعدك في الانتهاء من إجراءات السفر، ولكن علمت أنهم أغلقوا المكان فور سفرك بأقل من أسبوع ولم أعرف لماذا حدث ذلك؟ سألت مرارًا وتكرارًا عنك ولكن دون جدوى، وعندما طال الانتظار لأكثر من ستة أشهر قمت بالبحث عنك على مواقع التواصل الاجتماعي، وتواصلت مع الكثيرين ممن يقطنون بإيطاليا ولكن كنت أبحث عن إبرة في كوم من القش.

تأخرت ثلاث سنوات فوق سنة البحث الأولى، وبدأ أهلي في مرحلة النحيب على عمري الذي يمر أمامي وأنا واقفة مكتوفة الأيدي، وأنني سأصبح في عداد المفقودين من النساء ولن يرضى بي أحد بعد ذلك، فاسمي وُضع في قائمة "العوانس" كما يُطلق عليها في مجتمعنا الرحيم بالنساء بكل أشكالهن.

ثلاث سنوات ولم يأتني منكِ أي خبر ولا معلومة، انهرت كثيرًا وظهر على شكلي آثار الانتظار وأصبح قولوني العصبي كثير الشكوى والتذمر، واعتبرني أهلي بأنني على استعداد لاستكمال حياتي دونك بل وأصروا على استقبال كل من يريد الزواج بي، ولكن يا منصور كنت شديدة الصلابة ولا أقول غير بأنني غير موافقة فأنا لمنصور وسأنتظره للأبد.

أقحمت نفسي في العمل والدراسة من أجل نسيان همومي معك، لا أنكر بأنني كنت مستنكرة غيابك وما أقوله بيني وبين نفسي بأنني سوف أنهال عليك ضربًا عندما أراك، ولكني كاذبة يا منصور فأنا اشتقت لكَ حد الاشتياق، أين أنت؟ كيف ذهبت وتركت الهموم في قلبي؟

فأنا قبل نومي كل يوم أسترجع ذكرياتنا سويًا من خلال الصور التي تجمعنا، أستمع لكل حديث أرسلته لي صوتًا عبر محادثاتنا الإلكترونية كم كنت أفتقد صوتك يا منصور، وأفتقد أن تُدللني وتقول لي يا "شيء" فلم يقل لي أحدٌ قبلك أو بعدك هذا الاسم فالكل ينادي "رشيدة".

كنت أزور والدتك باستمرار وأجلس بغرفتك كثيرًا وأبكي وأنا أحتضن ملابسك، لماذا تأخرت كل هذا دون إخبارنا بأي خبرعنك لقد

فعلت الأفكار السيئة بي كل سوء، تخيلت بأنك انتقلت إلى الرفيق الأعلى وبدأت الوساوس تقتلني، فكيف يحدث ذلك وأنتَ دون أهل ودون حبيبة تبكي على فراقك، تخيلت بأنك مسجون في بلاد الغرب وأنهم اعتبروك إرهابيًّا ولكن هل أنت العربي الوحيد الذي يسافر لإيطاليا؟

أقابلت امرأة أجنبية وتزوجت بها ونسيتني؟! كنت أتخيل أشياء كثيرة ولكني سرعان ما طردت كل هذه التخيلات عني.

في يوم من الأيام الثقال التي تمر على قلبي كنت انتهيت من العمل باكرًا، وقررت الذهاب للإطمئنان على والدتك كعادتي وكلي آمال سعيدة بأنَّ لديها أخبارًا تخصك، تحدثنا كثيرًا عن أمور الحياة وكنا نعد فنجانيّ من الشاي، وأتذوق الحلويات التي تصنعها لي خصوصًا، وقالت لي إنها تريد أن تتحدث معي بشأن هام، اضطربت أنفاسي قليلًا وتغيرت ملامح وجهي للجدية نوعًا ما وطلبت منها أن تقول ما بداخلها.

كانت دموعها تستعد للسيلان ويداها ترتجفان وهي تقول أنا لا أعلم أين هو ولدي؟ لا أعرف له عنوانًا ولا حتى رقم هاتف لأسمع صوته فيهدأ قلبي، ولكنّ هناك شيئًا بداخلي يحدثني دائمًا بأنه ما زال حيًّا يُرزق ولكنه بعيد في أرض الله الواسعة. ويعلم الخالق يا رشيدة كم

تمنيت أن تكوني زوجة ابني، ولك العمر يسرق أجمل سنين حياتك يا فتاتي لن أمكث لكِ طويلًا وكذلك أهلك يعطيهم الله العمر المديد، ولكن أريد منك أن تمضي في حياتك لقد مر ست سنوات يا حبيبتي وأنتِ تنتظرين حبيبًا فيما وراء البحار لا نعلم أين هو؟ عاتبتها على ما قالته وأستسمحتها بأن تكتفي لا يوجد بي طاقة لسماع المزيد يكفي ما أحمله بداخلي، فأنا على يقين كامل بأن قلبها يحترق عليك يا منصور وأنها تقول ما تقوله لمحبتها لي ولشعورها بأنني ابنتها لا أكثر.

استأذنت في الرحيل باكرًا لم أريد أن أبكي أمامها فأزيد من أوجاعها وآلامها، يكفي ما يسكن داخل طياتها دخلت غرفتي وبكيت لأول مرة، شعرت بقلبي ينتفض وكأنه يقول بأن كلام والدتك إلا إشارة بأنكَ غير متواجد في دنيانا، أحسست بأنه هناك حاجز زمني يفصلنا أو أنني أحب شخصًا ليس له وجود إلا في خيالاتي.

استيقظت في اليوم التالي لأجدني ما زلت على وضعي من الأمس حالتي يُرثى لها، وجهي شاحب اللون اختفت ملامح عيني وأصبحت منتفخة الجفون من كثرة البكاء، والهالات السوداء غزت أسفل عيني يتساقط شعري بغزارة أصبحت نفسي مرهقة واهنة رافضة لكل ما هو يساعد البقاء على قيد الحياة، كنت أنت أكسجين الحياة التي أحياها والآن بت أعيش على أجهزة التنفس الصناعي، كان شكلي أقرب في

هيئته للأموات، كنت أعيش معاهم بجسدي فقط وكثيرًا ما كنت أفقد الوعي وأغيب مع ذكرياتنا البعيدة.

مر الكثير من الوقت أو تخيلت أن دهرًا قد فات على عمري، لمْ أكن أقوم بأي شيء غير العمل والدراسة والنحيب على فقدانك، كنت أجلس في عملي منهمكة كعادتي وأعيد ترتيب بعض الأوراق لأجد رسالة منك تركتها بين أوراقي منذ زمن بعيد، لم نكن وقتها على وفاق تشاجرنا بسبب تصرفات طائشة منك وبسبب سذاجة عقل مني، وعندما طال الخصام كتبت لي رسالة وتركتها أمامي ورحلت دون أن تُنطق بكلمة، كنت تعرف مفاتيحي وتعرف كيف تسيرعلى أوتار قلبي سأُعيد عليك محتوى الرسالة كي نتذكرها سويًا كانت كلمات أغنية للسيدة فيروز كنا دومًا نغنيها سويًا:

طل من الليل قال لي ضويلي

لاقاني الليل وطفى قناديلي

طل من الليل قال لي ضويلي

لاقاني الليل وطفى قناديلي

ولا تسألني كيف استهديت

كـان قلبي لعندك دليلي

واللي اكتوى بالشوق اكتوى

لأول مرة ما بنكون سوا

سألوني الناس عنك يا حبيبي

كتبوا المكاتيب وأخدها الهوا.

طويت الرسالة ولم أبكِ ظللت في حالة لا مُبالاة رافضة لكل هذا الواقع الذي لا أنتمي له حياة دونك يا منصور، لا أعرفها ولا أألفها أشعر وكأنني غريبة وحيدة، أشعر أن قلبي وعقلي لا أجدهم أشعر بالضياع دونك لا أقوى على المواجهة وحدي، فالأيام تمر ثقيلة وصعبة تستنزف كل طاقاتي وروحي تتسلل بعيدًا عني للبحث عنك فأين أنت بحق الحب؟

أين منصور يا الله ارحمني من هذا العذاب فأنا لا أقوى ولا أحتمل أرحم ضعفي ورده لي.

كنت أبكي وأنا أتحدث مع الله وأرجوه بأن ينتشلني من هذا الضياع، تركت عملي ومتعلقاتي وكنت أركض بكل ما أوتيت من قوة لا أعلم أين وجهتي، ولكني كنت هائمةً كالتائهة الهاربة ركضت كثيرًا وبكيت كثيرًا، إلى أن وصلت إلى مكاننا القديم أمام أمواج البحر القاسي الذي سمح لك بهجري، جلست على الرمال أبكي وأُحدثك كثيرًا ولا

أسمع غير نحيبي عليك وإليك بكيت طوال اليوم، إلى أنِ انتهيت وانتهت الدموع مني أصابني اليأس.

لم تختلف أيامي كثيرًا فما أشبه الليلة بالبارحة كما قال طَرفة بن العبد، فما أُصبِح فيه أمسي فيه دون أي جديد غير أنني أموت أكثر مِن مرة أموت من ألـم الفراق، وأموت أيضًا من نظرات الشفقة وهمهمات الحزن الذي يخيم في محيطي.

كان قد مرت سنون كثيرة لم أعد أقوى على حصرها وكنت كعادتي أستعد لذهابي للعمل، ولكنني كنت أشعر بأنني لستُ على ما يرام وبأنني أحمل جبالًا على عاتقي أكثر مما أحمله، ذهبت لعملي وكان قلبي ينتفض ويدق بسرعة غير مفهومة وهناك رجفة خفيفة في مِعصمي الأيمن، كنت أنجز بعد الأعمال بعيدًا عن مكتبي وعندما عدت وجدت هاتفي المحمول يعلن عن استقبال الكثير من المكالمات من أمي -كان هذا غير مألوف-، توقفت كل حواسي عن العمل وأنذرني عقلي بأن هناك ما يثير القلق عاودت الاتصال بأمي على الفور، أتاني صوتها غير مفهوم لم أستطع تمييز ماذا تقول غير إنها تريد أن أترك العمل وأذهب إليها حالًا.

كان كل تفكيري بأنها مرضت فجأة أو أنَّ البيت حدث به مكروه لا أعلم أنها كانت تتحدث عنك أنت يا منصور، عندما اقتربت مِن

المنزل وجدت أمي تقف على باب المنزل في انتظاري وهي تبكي قلت لها: في إيه يا ماما حد حصله حاجة؟!

لم تجب بل جذبتني من يدي لحضنها، وكانت تقول استعوضي الله فهو في مكان جديد وجميل لقد استرد الله هديته يا رشيدة، لم أستوعب ما قالته لم أفهم هي تتحدث عن مَن؛ حاولت أن أنظر لها وأقول شيئًا ولكن الكلام انتهى بداخلي لم يقوَ لساني على البوح بشيء آخر، ولم أسمع ماذا يقولون كل ما أتذكره بأنَّ صورتك كانت تطوف أمامي وأُسدِلت ستائر سوداء.

تمت

(٢)

"فالعاشق لا يعرف اليأس أبدًا . .

وللقلب المغرم كل الأشياء ممكنة"

جلال الدين الرومي

وأنا تخيلت بأن كل الأشياء التي أريدها في حياتي ممكنة يا حبيبتي...

حبيبتي البعيدة رشيدة أو شي كما تحبي أن تسمعي اسمك مني، أنا آسف فطالت غيبتي وطال انتظارك.

لا أعلم ماذا تفعلين الآن وماذا سوف تفعلين عندما يصلك خطابي هذا إذا أراد الله له أن يصل، أنا تائه غريب مشرد الفكر والتفكير والحياة ضائع في بلاد الله الغريبة.

منذ أن وصلت وكل الكون كان قد تحالف ضدي وكأنهم يعاقبونني على ترك أمي وحيدة، وعلى وعدك بحياة في المستقبل لم أتخيلها سوى في أحلامي، يعاقبني على أمل حسبته في انتظاري فور وصولي وصنعت أحلامًا من الذهب وهي في الحقيقة أحلام صدئة.

حبيبتي رشيدة لا أعلم هل سأصمد من أجل اللقاء مرة أخرى؟ هل ستتمكن من الشعور بالدفء معًا! عيناي تشتاق لرؤيتك أراك كل يوم في أحلامي وكأنكِ تهوني عليَّ ما أعيشه هنا في الغربة والوحدة في آنٍ واحد، فالغربةِ موحشة والوحدة كالسجن مدى الحياة في آخر بقاع الأرض حيث لا يوجد أي بشر غيرك، فأنا أسير لأحلامي التي تبخرت وأسير في حياة لا أعرفها ولا تعرفني، ليتني لم أقرر الرحيل والبعاد ليت الحياة تُعاد مرة أخرى لأختار البقاء، ليتكِ لم توافقيني وتخيِّريني بين الرحيل وبينك.

كان الحلم أشبه بالحياة الكاملة لم أشك ولو لوهلة بأن تسير الأمور بهذا الشكل، ليس إلا خدعة كبيرة تهم لالتهامنا بداخلها، كنت مُنساقًا من أجل الوفاء بالوعد بأنك لي والبيت الكبير والحياة.

بعد أنْ أنهيت كل أوراقي للسفر وتأهبت للرحيل وبعد تجرعي مرارة الوداع لأمي ولكِ، وترككم بدون أمل مادي ذهبت لأجد نفسي في عالم جديد غريب مريع كالذي أراه على التلفاز في الأخبار، اكتشفت بأنَّ السفينة تحمل أناسًا من كل الجنسيات وتقريبًا الهاربون يفوقون الشرعيين في العدد، فكان لابد من التضحية بنا على الحدود.

بل يا حبيبتي كنت من غير الشرعيين لقد تم التلاعب بي من أجل الاستيلاء على أموالي، وكان كل الأوراق التي أحملها غير قانونية لا شيء يثبت هويتي غير جواز سفري الذي تركني هو الآخر.

قرب وصولنا للحدود طبعًا دون أن أحكي طلبوا من كل المسافرين غير الشرعيين بترك السفينة في الحال، تملكني الخوف والرهبة والتردد كان منظر البحر مخيفًا غير الذي أعرفه بحر آخر غير الذي أحبه وكنت أبحر به كثيرًا، كان الظلام حالكًا إلا من أنوار النجوم الساكنة في السماء التي تنظر على حالنا مشفقة ولكن لا مفر، فاستجمعت كل ذرة قوة بداخلي واستقبلني البحر وأنا سقطت لم أكن أرى غير صورتك، وأنتِ تصرخين كان صوتك يقلتني وها أنا سقطت.

ارتطم جسمي بمياه البحر وأصابني دوار وهلع وكأنني لا أعرف البحر ولم أتعلم سباحة طوال عمري، كنت أرتجف ولم أتمالك نفسي ففقدت الوعي وما عرفته بعد ذلك بأن الله أنقذني، وألهم البحر بان يجرفني للشاطئ ووجدني شخصٌ رحيمٌ، وقال لي إنني كنت في غيبوبة طويلة دامت لشهرين. أفقت وتخيلت بأنَّ الحياة كانت قد انتهت ولكن سرعان ما وجدني ما زلت على قيد الحياة، ولكن بلا أي هوية فسقط كل ما كنت أحمله عندما سقطت أنا الآخر في المياه، وهنا كانت المصيبة الأكبر فأنا هارب في دولة أجنبية لا أحمل أي أوراق تدل على هويتي، ولا أعرف أي شخص ولا لديَّ عمل ولا بيت فأنا الآن مُشرد.

بعد عدة محاولات كثيرة وجدت عملًا قبلني كما أنا ولكن لفترة مؤقتة، فأخذت أنتقل من مكان لآخر لعدم توافر أوراق رسمية معي

واستمر هذا الحال لعام من المشقة وعدم الاستقرار، إلى أن تعرفت على مجموعة من الشباب العربي وكان لبعضهم معارف ذو شأن، استطعت استخراج أوراق ولكنها غير كاملة لما يتطلبه الكثير من الأموال ولم يكن لديَّ أي شيء.

أعرف بأنكَ تلومني ولك كل الحق لماذا لمْ أبعث لكَ رسالة أو أهاتفك كل هذه المدة، ولكنني كنت فاقد الأمل وأيضًا أشعر بالخزي والعار أحسست بأنني هُزِمت في معركةِ الحياة، لم يكن لديَّ ما أقوله كنت أهون على نفسي وأقول بأن الظروف ستتحسن عما قريب، انهمكت في العمل مرة أخرى واستمرت معي سلسلة الانتقالات مرة أخرى ولكن بشكل أقل مما سبق، استطعت بعد ذلك استخراج تصريح عمل مؤقت قابل للتجديد، وكنت قد نويت الاتصال بك ولكنني ترددت لقد مرت ثلاث سنوات وأنا بعيد كل البعد عنك، أخلفت وعدي معك وتركتك وحيدة حزينة، أصابني الخوف من إحساس الشفقة على حالي عندما تسمعين ما حدث معي انتابني حالة من القلق والهلع من رد فعلك، فقررت أن أنتظر عدة شهور أخرى على أمل أن يتبدل حالي لحال أفضل لكي أشعرك بالراحة والاطمئنان؛ ولكن لم أكُن أملك الغد.

فجأة ودون سابق إنذار كانت تقوم حملات اعتقال للمهاجرين من جنسيات متعددة وبالأخص العرب وللأسف كنت من هؤلاء المعتقلين،

لا أعلم كم مر من الوقت وأنا أتنقل من مكان لآخر من حبس للثاني دون أي تفاصيل معروفة لوجودي في هذا المكان، والذي زاد من الطين بلة عدم توافر أي إثبات شخصية رسمي معي فكانت الإجراءات شديدة التعسف، ولكن بعد فترة ليست قصيرة كُتب لي الخروج على أمل الترحيل لدولتي، وكنت في اشتياق حقيقي لرؤيتك ورؤيتي فأنا نسيت ملامحي القديمة، لم أكن أتعرف على نفسي الجديدة التي اكتسبتها في الخارج.

رشيدة لا أعلم ولا أعرف من أكون، حياتي صارت بلا روح مر الكثير من السنين وأنا بعيد لا أرى غير طيف لصورتك التي أصبحت شاحبة باهتة، مِن المؤكد بأنكِ تغيرتِ وصرتِ أنضج وأكبر، لا أعلم أما زلتِ تنتظرين رجوع شبح من المستقبل البعيد؟

أكتب لكِ هذا الخطاب لأنني صرت مريضًا جدًا مرضًا كاد أنْ يقضي على المتبقي مني، ولا أعرف هل سيصلك الخطاب هذا أم سيكون مصيره كمصيري مجهولًا، الغربة أنهكتني وقضت على كل أحلامي وأيضًا قضت على حاضري، أتمنى مِن الله أن يسامحني على وعودي التي خلفتها وعلى قلبك الذي تحطم مِن الفراق، أنا آسف ولكن تذكري بأنك كنت الحياة والعالم وعندما تركتك تركتني الحياة.

تمت

تذكرتك
يا عاليه

(١)

يظنون بأنني قوية المراس، متجردة من المشاعر، صلبة الرأي والتفكير، يهابون تلك الفتاة ذات الصوت المرتفع واللسان الذي لا يهاب أحدًا – فهو دائمًا يسبقني فالتصرف–، وأُعاني بعدها مئات المرات لما يفعله بي.

أوافقهم الرأي بأنني تلك الفتاة التي يخشاها الكبير قبل الصغير، تراني مرحة أعشق الضحك والمزاح، وقليل من الناس –أو يكاد ينعدم– من يراني حزينة، أقدر الناس وأحب من يقدرني ويهتم بي، ولكن أحيانًا يتأتى الاهتمام ممن لا نريد منهم اهتمامًا "تستطيع القول بأنني أستاذة في تلقي اهتمام من أشخاص لا أشعر بوجودهم من الأساس".

معظم هذه الصفات توحي لكِ بأنني ممن يعيشون في البرج العاجي، ممن يهتمون بوضع مساحيق التجميل وأنني من أصحاب الكعوب الشاهقة، ولكن هذه ليست أنا فهذه الصفات أنا من صنعتها لكي أحمي بها طفلتي المدللة من أشباح المجتمع، فأنا لست بالشقراء ذات العيون الخضراء بل أنا أشبه بالفتاة النيلية الأصيلة خمرية اللون، عيون سوداء

شعر يهوى الرقص اللولبي ويمكن أن تتخيل بأنني ممن يدعوهن -كيرفي- أميل للألوان الصاخبة فيمكنني أن أرتدي ما يشبه بألوان الطيف معًا، والمفاجأة بأنها تلقى إعجاب كل من يقع نظره عليّ.

نشأت في بيت صارم التقاليد يعشق الانضباط والاستقامة، حتى وإن كانت استقامة زائفة سمتني أمي "عاليا" تيمنًا بجدتي -والدتها- كانت دومًا تقول لي أنتِ مثل أمي فلديكِ نفس لون العين، لديكِ نفس القوة الحاضرة نفس الروح العفوية نفس الصلابة وأيضًا نفس العقل الواعي، تستطيع القول بأنني مدللة فأرى نفسي بالملكة المتوَّجة وكل من يعرفني ينول شرف التقرب من الملكة.

عذرًا سيدي لست بتلك المتعجرفة التي لا ترى سوى نفسها بالمرآة، ولكنني تعودت على تلك الحياة، أحببت تلك النظرة في عيون الآخرين بأنني تلك الفتاة القوية التي لا يكسرها أحد -حياتها خالية من المشاكل والمعوقات-، بلى أحببت ولكنني أضعف من أضعف عصفور صغير مستحدث الطيران.

فأبي ضعيف الشخصية ليس فقط أمام أمي ولكن أمام الجميع ليس له قرار في أي شيء يخص الحياة، لا يعلم غير أنه يقول نعم بصوت منخفض يدل على الكسرة، وكأنه مذلول من العالم لا أعلم لماذا يحس هذا الشعور دائمًا!

أما أمي فهي على النقيض ذات الصوت المرتفع لا تعرف الهدوء تميل كل الميل إلى السيطرة على كل شيء، وإن كان هذا يشمل تفكيرنا ومشاعرنا أيضًا، ترى بأنها تمتلكنا هي فقط، لها كل الحق في الموافقة على ما تريد هي، وأيضًا في الرفض على ما يتعارض مع تفكيرها، هذا لا يعني بأنها لا تحبني أنا وإخوتي بل بالعكس فهي تعشقنا عشقًا كثيرًا عشق لحد الجنون.

أعرف بأنني ورثت السيطرة والهيمنة من أمي ولم أكتفِ بذلك؛ بل طورت من إمكانيات عقلي بحيث إنني أستطيع فهم الأشخاص من أول مرة أتحدث معهم، وأصبحت سعيدة بما أفعله في حياتي حتى وإن كان ما أفعله لا يليق بفتاه على قدر كبير من التربية، ولكن لماذا نضع التربية مقياسًا للتقييم فأنا أحب وضعها في خانة أُخرى بجوار تصرفاتي وأفعالي، التي أصبحتا تلازماني كظلي.

أعتذر لما سوف أعترف به وأريد وعدًا بألا تُسيء الظن بي، ولكن هذه هي الحقيقة وإن كان مذاقها مُرًّا، أتذكر بأن أمي كانت دومًا ما تقول لي منذ الصغر بأنَّ الرجال ما هم إلا وحوش يعيشون معنا على ذات الكوكب، ولابد من الاحتراس منهم فهم يُخططون للإيقاع بالفريسة ومن ثمَّ قتلها، كثيرًا ما ذكرت أشياء من هذا القبيل إلى أنِ اقتنعت بكلامها وأصبح أمامي كالصورة التي ترفض المُغيب عن

مخيلتي، كل ما كان يسيطر على تفكيري منذ ذلك الحين هو كيفية الاحتراس والانتقام من ذلك الكائن المُسمى بالرجل، دون وعي مني لماذا عليَّ أن أنتقم؟

بعد أن كبرت وتخطيت مرحلة مراهقتي وأصبحت مِن رواد الجامعات تغيرت نوعًا ما أصبحت تلك التي لا تهاب أحدًا أو تُظهر ذلك للجميع، اعتمدت على ما أحمله من ذكاء وقدرة على الخروج من المواقف التي لا تروق لي بحكمة دون إحداث أي خدش مُطلقًا، كنت أتعامل بأنني فقط من له السيادة للتحكم في حياتي وحياة من يدخل دائرتي أو من أريده في دائرتي.

لا أقول بأنني جميلة الجميلات ولكن كما ذكرت سابقًا فعندي القدرة لخطف الأنظار لي؛ من خلال شكلي وأيضًا من خلال شخصيتي المميزة بالرغم من كل ذلك فقد كنت أميل إلى التمرد ليس فقط على كل ما يخالفني فالرأي، تمت سنين دراستي بالجامعة على قدر مِن الهدوء فكل ما حدث بها من أحداث ومناوشات ليست بالأمور الهامة للمُناقشة حتى علاقاتي بالجنس الآخر كانت في أضيق الحدود، فكنت أتجنب الوقوع في أي محادثات معهم وأكتفي بهز رأسي إذا ما تجرأ أحدهم بإلقاء السلام.

بعد التخرج بفترة وجيزة قرأت عن إعلان عمل وبالفعل قدمت أوراقي وتخطيت المقابلة الشخصية وقُبلت في العمل، كانت من أسعد

لحظاتي يوم استلامي العمل، ولكن نقف لحظة أعيد فيها ترتيب شخصيتي التي أرهقني العمل عليها للظهور بذلك المظهر.

كنت متوترة نوعًا ما في أول يوم لي وعندما دخلت الشركة كنت أبحث عن من هو مديري أو أين مكان العمل؟

وبعد أسئلة لعدد لا بأس به؛ توصلت للقسم الذي سوف أعمل به وأيضًا توصلت لمديري، وكان لابد من أن أفرض سيطرتي وشخصيتي من البداية حتى لا يستهان بي، وبالفعل تعرفت عليه وكنت في غاية السعادة لبدأ مرحلة جديدة من حياتي.

عذرًا أنت تتخيل الآن بأنني ذو وجه عبوس وملامح عصامية وكلام فظ، ولكن كل هذا فهو محض تخيلك لا أكثر فأنا بريئة الملامح ومعظم ما أفوه به فهو بالكلام السطحي الذي يحمل في طياته كل ما أُريد البوح به، تستطيع القول بأنه ذلك الكلام السهل الممتنع وأيضًا إذا كُنتِ على مقربة من موضع وجودي فسوف تستمع إلى ضحكتي التي لا تفارقني، وكل هذه الميزات استطعت بها تكوين صداقات لا يُستهان بها مع الحفاظ طبعًا بما أحمله بداخلي مِن طباع، إلى أنْ وقعت في المحظور وأُعجبت به.

كان زميلًا لنا في قسم آخر اصطدمت به عند دخولي العمل وقد اعتذر بلباقة لم أرَ لها مثيلًا، تتبعته وعرفت عنه كل شيء وقد عاونتني

صديقة لي تعمل في القسم معه، والحمد لله كل محاولاتي للحديث معه باتت بالفشل الذريع إلى أن جاء اليوم المشهود، كنت في ذلك اليوم في مِزاج غير راقٍ ولم أُبادله النظرات كما كنت أفعل، بل تعامل وكأنني لا أراه ليس لأنني لمْ يعُد يعجبني ولكنني حقًا لمْ أكُن في حال جيد، كُنت أعد كوبًا من الشاي لبدأ العمل وإذا بصوت لا يقل عذوبة عن رقته يقول لي:

- النهارده يوم إيه؟

لم أستوعب ماذا قال في البداية، أهو يحدثني أنا أم يتحدث مع شخص آخر على الفور، نظرت له للتأكد إذا كان يوجه الحديث لي أم يوجهه لشخص ما ولم أجد غيره يقف بجواري، استغرقت وقتًا للتذكر أي يوم نحن ويا للعجب لم أكُن أتذكر بالفعل، وقلت له النهارده يوم من أيام ربنا.

هو: متشكر جدًا، أتمنى مكنش أزعجتك.

علياء: لا بجد أنا مش فاكرة النهارده إيه بس يمكن يوم خميس.

قلت ما قلته تركته وذهبت لا أعلم لماذا تصرفت معه بهذا الشكل، لو أمتَّ نفسي مرارًا وتكرارًا حتى ظننت بأنني تغيرت وأصبحت شخصًا آخر غير ما أنا عليه، كان اليوم قد أوشك على الانتهاء لململت

أشيائي وتوجهت لبوابة الخروج، وإذا بمراد يسير أمامي ويفصلني عنه بضع خطوات لا أعرف كيف تخليت عن برجي العاجي وناديته، فالتفت على الفور تلعثمت كلماتي قبل البوح بها ووقفت كتلميذة لمْ تحصل على علامات جيدة بالامتحان، كانت عيني تزوغ مني كثيرًا إلى أنْ تماسكت قليلًا وقُلت له:

❋ أنا آسفة جدًا على الأسلوب اللي اتعاملت بيه انهارده، بس اليوم النهارده كان تقيل شوية ومعلش خنقتي طلعت عليك.

بادرني بالحديث وقال لي:

– هوني على نفسك قليلًا لمْ يحدث ما يستدعي الاعتذار فمن الوارد أنَّ ما حدث منك يحدث معي، وابتسم وهو يُميل رأسه لي وبالطبع ابتسمت كالطفل الصغير فور رؤيته لأمه.

انتهى اليوم بسلام، وأيضًا انتهت الكثير من الأيام بسلام مُختلطة بسعادة بالغة لما أضافه مراد إلى حياتي، لم يمُر يوم إلا وكنا سويًا منذ الصباح الباكر حتى اختفاء القمر، كثر لقاؤنا وكثر كلامنا ومحادثتنا الهاتفية حتى ظننت أنني أعرفه منذ زمن بعيد.

أحببت مراد ولا شك بأنه هو الآخر أحبني ولكني كنت من وقت لآخر كنت أتذكر كلام أُمي تجاه الكائنات التي تعيش معنا، المسماه

بالرجال ولكنني كنت أقول داخل قرة نفسي بأن مراد ليس مثل الباقيين، فهو حنون وعطوف والأهم من كل ذلك يحبني، ولدينا تقارب كبير في وجهات النظر والتفاهم.

تغيرت معه وله أحببت الحياة التي أراها من منظوره هو تخيلت أنَّ الحياة بسيطة، وأن أقصى مشاكل الدنيا نستطيع أنْ نتصدى لها معًا، ولم أكُن أعلم بأنني سأواجه كل شيء بمفردي لمْ يُخبرني بأنه سيتركني ويرحل وأنه سيحولني إلى شبح حانق على كل ما هو مُذكر، كاره كل ما يحمل صفة غير مؤنثة.

لم يكُن مستوانا المادي على وفاق ولكن هذه المشكلة لم تكُن تعني لي شيئًا فأنا أحبه لشخصه، وأعرف بأنه شخص طموح ولديه من رجاحة العقل الكثير، كنت أعرف بأن علاقتنا ستواجه المصاعب عندما تحدثت مع والدتي بأنه يوجد شخص ما في حياتي، يوجد من أعتبره توأمًا لروحي وأود لو أتشارك معه كُل حياتي القادمة، أتذكر جيدًا رد فعل أمي العنيف وتوبيخها لي عندما علمت بأنه من أسرة بسيطة الحال، ولكنني لم أهدأ أو أستسلم بل أعلنت العصيان وبعد فترة ليست بالقليلة رفعت أمي راية الاستسلام والرضوخ لقراراتي، والسماح لمراد بمقابلتها هي وهي فقط، أما أبي فهو في كوكبه البعيد لا يدري بأي شيء يفعل، كل ما هو مطلوب منه وعليه أن يقول آمين لكل قرار تصدره أمي.

لمْ أتمالك نفسي من الفرحة أمسك بهاتفي المحمول وكتبت رقم أحفظه عن ظهر قلب، كنت أنتظر الثواني كسنين طويلة وأخيرًا جاءني الرد.

مراد: ألووو.

عالية: مش هتصصصدق، ماماااا وافقت تقابلك أخيرًا

أطلقت تنهيدة عميقة كمن وصل للوطن بعد سفر طويل- بجد مكُنتش مصدقة لما قالت لي حددي معاد نشوف سي مراد.

جاءني الرد عكس ما تخيلت فقد اكتفى مراد بقول كلمة واحدة (بجد!!).

عالية: ممم، بس ماما عندها شرط صغير أوي.

مراد: من أولها وهنشرط؟! اتفضلي قولي.

عالية: هتتقابلوا إنت وماما وبس.

سكت مراد لبُرهة من الوقت وكأنه تسرع في طلب الجواز مني، أحسست وقتها بأنه لم يكُن يشعر بالسعادة مثلما شعرت، ولكن تجاهلت إحساسي وبالفعل حددنا موعد اللقاء وذهبت أمي لمقابلة من تخيلته الوطن المنشود.

مرت ساعات المقابلة وكأنها سنين عِجاف بطيئة مميتة إلى أن جاءت أمي وجاء معها الخبر اليقين، كانت صامتة تفكر كثيرًا وكثيرًا إلى أن خرجت من صمتها، وقالت لي:

الولد مش بطال بس هيحتاج وقت طويل عشان يجهز طلباتي، والسؤال هنا هل هتقدري تستني كل ده؟

قالت أمي ما قالته وتركتني وذهبت لصومعتها الخاصة، انتظرت من مراد أن يحدثني ولكنه اختفى هو الآخر، لا أعلم ماذا حدث بينهما ماذا قالت له؟ وماذا قال لها؟

كاد التفكير أنْ يقتلني ويفتك بي إلى أنِ استسلمت للنوم على أمل رؤيته صباح الغد.

في الصباح الباكر كُنت قد استيقظت قبل ميعادي المعتاد وتهيأت للذهاب للعمل، أو بالمعنى الأصح كنت أجلس داخل الأتوبيس المخصص للعمل وانتبهت من شرودي على نغمة أطلقها هاتفي المحمول، وإذا بمُراد يحدثني ويلِح في أنْ نتقابل قبل بدأ العمل، وبالفعل تقابلنا وأوضح لي بأن والدتي لها طلبات أكبر بكثير من إمكانياته المتاحة، لذا اقترح عليها بالسفر خارج البلاد لدولة الإمارات الشقيقة للعمل بها؛ حيث إن له هناك قريبًا سيساعده في إجراءات استخراج الأوراق المطلوبة، وأيضًا في إيجاد عمل مناسب له.

استقبلت الخبر كصاعقة مُدوية يسافر ويتركني من أجل أن يكون معي، أي منطق هذا ولماذا وافقت أمي على هذا؟ أكانت تعجزه من أجل أن يرحل عني؟!

احتجت الكثير من الوقت لاستيعاب الموقف واحتوائه، فالإجراءات وكل ما يلزمه للسفر استغرق ثلاثين يومًا كنت أمضيهم في ترقب له، وكأنني على علم بأنه سيرحل دون عودة لا أعلم لمَ هذا الشعور كان يغمرني بشدة وقد كان.

سافر مراد واجتاز الكثير من المسافات للبعد عني؛ فاللعنة على المسافات التي فرقت بيننا ولكنه كان معي طيلة الوقت دائمًا، فلنشكر الله كثيرًا على إلهام مخترعي الإنترنت باختراع هذا الشيء المذهل، استمر مراد باحتوائي وتعويضي عن الفراغ الذي تركه في حياتي، مر شهر شهرين ثم خمس أشهر وبدأ مراد بالاختفاء نوعًا ما ليس بالمعنى الحرفي، ولكن كثرت مبرارته بأنَّ الشغل كثير وأصبح لا يجد الوقت الكافي لمحادثتي، وبأنه لابد من مُراعاة ذلك فهو ترك حياته وأهله ووطنه من أجلي.

لمْ أسترح لنبرته ولا لحكاياته عن العمل وخصوصًا عن مُديرته في العمل، التي كانت تكبره بخمس سنوات ولكن كثيرًا ما يقول بأنها مثل أختٍ له، وأنه حدثها عني لدرجة أنها باتت تعرفني وتقول له عن كيفية

التعامل معي، تغير مُراد كثيرًا أصبح يتركني دون الوصال بي بالأسبوعين، حاولت الوصول له مرارًا وتكرارًا ولكن دون الجدوى إلى أن تُذكّرني أخيرًا وتحدثنا.

تحدثنا من الرقم الخاص به في مصر لم أستوعب في البداية بأنه مراد حبيبي، أهو جاء أم حدث شيء غير مرغوب به؟!

كنت أرتجف وأنا أستمع له بالفعل كان قد جاء لمصر دون علمي، تحدثت كثيرًا عن اشتياقي له وعن مدى سعادتي لمفاجائته لي بعد طول الغياب، ولكن انتبهت قليلًا إلى أنه لا ينطق بحرف واحد كان صامتًا، وكنت أتحدث مع نفسي إلى أنْ قاطعت نفسي وقلت له: مُراد أنت ساكت كده ليه؟

مراد: عالية أنا خطبت واحدة غيرك وهنتجوز قريب ياريت متتكلمش تاني، أنا آسف بس مضطر أعملك بلوك عشان تعرفي تبعدي وأعرف أنا كمان أكمل.

عالية: أنت خطبت مديرتك؟

سادت لحظات من الصمت بيننا ثم قال لي: نصيب.

تمت

(٢)

بعضنا كالحِبر وبعضنا كالورق فلولا سواد بعضنا لكان
البياض أصم، ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى.

جُبران خَليل جُبران

"حد يقولها دي مليش حبايب بعدها واللي باقيلي منها عايش علييه"، انطلقت هذه الكلمات داخل أُذني وأنا أضع سماعات الرأس في انطلاقي مِن القاهرة إلى الإمارات في الطائرة راحل، لبدء حياة بعيدة من أجل عالية.

لا أُنكِر بأنني كنت أحس بنوع من المشاعر المُتضاربة فهل أنا حزين من أجل الغربة، وترك عائلتي وحبيبتي أم أشعر بالفرحة من التجربة الجديدة التي ستجعلني قريبًا من عالية لاتخاذ خطوات سريعة لإتمام علاقتي بها، أم الشعور بالتحدي في إثبات بأنني سواء أملك المال أو لا أملكه فأنا أستحق أنْ أحيا الحياة التي أريدها، لا أعرف ما هي الإثباتات التي توضح الجدية في الحياة، أكنت أستحق ما فعلته والدة عالية معي! حقها أنْ تخاف على ابنتها وحياتها ومُستقبلها ولكن أنا في بداية حياتي

أيضًا لها كل الحق في أن تضمن حقوقها، ولكن لِمَ كل هذا التعسف والطلبات الخُرافية لشاب في مُقتبل العمر.

كنت قد سافرت على أمل أنَّ الحياة ستكون في أسهل حالاتها، ولكن أستغرق إنهاء أوراقي هنا الكثير والكثير من الوقت، وكانت أموالي تشرف على الانتهاء أو بمعنى أصح كانت قد نفذت بالفعل، وفوق ذلك تراكمت الديون الغريبة من أجل فقط مصاريف المعيشة كالطعام والمأوى، لم أكن أقول شيئًا لعالية فهي تعاني من الفراق فيكفي ما تعانيه منه.

الهروب هو أسهل وسيلة يلجأ إليها الإنسان خشية من المواجهة، وكنت أهرب دائمًا من كل شيء وتخيلت بأنني أفعل الصواب، إذا فعلت شيئًا ولم أستطع المواجهة فأنا أختفي، فعندما عجزت عن مطالب والدة عالية سافرت، وتخيلت بأنني على الطريق الصحيح وعندما سافرت وتعقدت بعض الأمور هربت بالنوم لساعات طويلة، والحمدلله بأنَّ الأمور لمْ تستمر أكثر من شهرين وأخيرًا وجدت وظيفة مناسبة نوعًا ما، قريبة من تخصصي مرتب ليس بالكثير ولكنه يكفي كل احتياجاتي، ويتبقى جزء من أجل عالية ولكن المدة التي وعدت بها لن تكفي سأحتاج إلى ضعفها مرتين.

لمْ تكُن الحياة الجديدة سيئة بل أحببت نفسي بها فكُنت أخرج للتنزة كثيرًا، وأتبضع أكثر أعجبني شكل الحياة الذي كنت أفتقده وأصبح كل

هدفي هو إسعاد نفسي، تستطيع أن تقول إنَّ هناك كان يوجد مكان في حياتي لا أعرفه، وهو أن تحيا من أجل اللا شيء فقط لإسعاد نفسك تعمل من أجل أن تجني أموالًا لصرفها في ملذات الحياة، كُنت قد نسيتك يا عالية أو توهمت النسيان.

لا تلومينني...

فأنا نشأت في أسرة عادية جدًا تشبه الكثير من حياة الآخرين ليست أسرة متوسطة، وأيضًا لسنا على خط الفقر بل هي أسرة عادية عادية جدًا، أبي موظف في الوظائف العادية أيضًا، وأمي تعمل مُدرِسة ونسكن في بيت جدي لي ثلاث أخوات، وعندما يضع أبي راتبه على راتب أمي فهو بالكاد يكفي لثلاث أرباع الشهر والربع المتبقي كما يقال "بنقضيها" من المعونات الخارجية، وإنْ كان جدي يتكفل بها.

كانت ظروف حياتنا تقضي بأن الأهم فالمهم وأخيرًا ما يمكن أن يؤجل، أما بالنسبة للرفاهيات فهي لمْ تكُن مطروحة من الأساس داخل حياتنا، وعلى الرغم من كل هذا لمْ تكُن حياتي مُحبطة أو شهرت باليأس، فكان أهلي على الرغم من ضيق الحال إلا أنهم كانوا يفرطون في المشاعر تجاهنا، وكان لنا أوقات سويًا وإنْ كان تنزهًا في الشوارع دون الذهاب إلى وجهة معينة.

عندما نكبر تكبر معانا احتياجاتنا وتتوسع دائرة مُتطلباتنا لتصبح دوائر مُتعددة ومُتشابكة.

حياتي داخل الجامعة لمْ تكُن بأحسن حال كُنت كالمحبوس في قمقم لا أعرف كيفية الخروج منه، كدت أختنق في كثير من الأحيان كادت الظروف تقضي على ما تبقى مني، مررت بأمور لم أكُن أعلم بأنَّ مثل هذه الأشياء موجود في الحياة، ولكن صببت كل تفكيري في المذاكرة من أجل الانتهاء من هذه المرحلة التي لمْ أعرف كيفية الاستمتاع بها في الحفلات والرحلات والخروجات، كانت من الأمور البعيدة نظرًا لقلة ما أملكه من المال فمصروفي يكفي للمواصلات وشكرًا.

وحمدًا لله على تخرجي وهنا بدأت مرحلة أخرى في حياتي، وهي البحث عن عمل مناسب لمؤهلاتي وشهادتي، ولكن هناك بعض العوائق والحقيقة هي الكثير من العوائق الشاقة فكان هناك شركات تطلب من هُم ذوي الخبرة، وأنا كنت حديث التخرج، والشركات الأخرى التي تُفضِّل حديثي التخرج تشترط أن تكون متدربًا لعدد من الشهور وبعد مُحاولات عدة وجدت شركة من شركات المؤقتة للعمل بها فترة صغيرة، واستكمال البحث في مجال عملي ولكن أحببت العمل كموظف خدمة عملاء، ليس حبًّا في الوظيفة ولكن أحببت كوني قادرًا

على التعرف على الكثير من المشكلات، وقياس مهاراتي في حل مشكلات العميل، وإنْ لم أجد حلًّا فأنا قادر على جعله يُنهي المكالمة دون سماعي ما لا أحب أن أسمعه.

مر على وجودي بالشركة عدة شهور وكان الملل بدأ في محاوطتي إلى أنْ رأيتك؛ كُنتِ متوترة أو حزينة لا أعرف ولكن لا أستطيع نسيان هذا اليوم كُنتِ تتحدثين بنوع من اللا مبالاة على سؤالي، وقد ندمت على اتخاذي مثل هذه الخطوة للتحدث معك، ولكنك لمْ تتأخري في مُحادثتي ففي نفس اليوم تحدثنا سويًا، وكانت لحياتي حياة معك إلى أنْ تقابلت مع والدتك وحدث ما تعلمينه، وسافرت وأخذت خطوات أولى في حياتي المستقبلية من أجل كلنا، وأقسم بأنني سافرت من أجل عيونك يا عالية ولكن كان حرماني من هذه الحياة يتراقص دومًا أمامي.

فالحياة دون تحمُّل الكثير مِن المسؤوليات رائعة أعمل في عمل جيد وأتنزه كثيرًا، وأصرف كل ما أجنيه على مظهري وأشياء كنت لا أعرف بوجودها، لذلك تناسيت وعدي وتناسيت وجودك وأحببت حياتي الجديدة الفارغة.

لم أكُن يومًا ما انتهازيًا أو عبدًا لمصلحتي، دائمًا ما كنت أفكر في من حولي ثم أبحث عما يخصني ولكنني لمْ أستطع التخلي عما وصلت له حتى لو أصبحت شخصًا انتهازيًا، كانت مُديرتي وصاحبة العمل تتودد

لي كثيرًا وقد أدركت ذلك مُنذ اللحظة الأولى كثيرًا، كنت أتهرب لأجلك أنتِ ولكن كان هناك صوت بداخلي يوبخني على تركي هذه الفرصة، وكنت قد قررت التقرب أيضًا ولكن بطريقتي وشروطي للتعرف على عالمها البعيد والغريب عن عالمي، وبالفعل أصبحنا أصدقاء مُقربين وكنت أنا السيئ في رواية عالية، وكنت أيضًا السيئ في روايتها فأنا لا أحبها كحُبي لعالية، ولكن هي جعلتني أحب التواجد معها فقد أغرتني وأصبحت أعتاد شكل الحياة الفارهة، وأقسم بأنني لنْ أتخلى عن هذه الحياة.

وقررت الانسحاب من حياتك وبدأ حياة أخرى وعجلنا من خطوات الزواج، وكنت أفكر كثيرًا كثيرًا في طريقة تجعلك تكرهين سماع اسمي، وليس كرهك لرؤيتي فقط وبالفعل كان موعد وصولي لمصر قد حان إخبار أهلي بخطواتي الجديدة وتعمدت تجاهلك، وكنتِ قد علمتِ بوصولي من عدة أيام، ونفذت ما جئت لأجله ولكن لم أكن اعرف بأنني من سينهزم، لم أكُن أعلم بأنني سأقطلع جذورك من جذوري وبأن الجرح سيكون للأبد، مَن كان يعلم بأنَّ حساباتي لمْ تكُن صحيحة وأنكِ عالية في قلبي، واستبدالك بكل شيء كان غير مُمكن ولكن كان الأوان قد فات وكُنا افترقنا.

تمت

أمس انتهينا

(١)

كُنت دومًا مِثالًا للطالبة المثالية –دحيحة الدفعة– لم يكُن لديَّ أي طموحات غير أن أُنهي دراستي بتفوق، فلم يكُن لديَّ جامعة مُفضَّلة أو كُلية محببة إلى قلبي، كل ما كان يشغل بالي أن يُقال بأنني مُتفوقة دراسيًا وليس مثلي أحد دائمًا كنت أنا الأولى والمُتفردة في كل شيء، كُنت أرى الباقين أقل مني في الكثير من القدرات فأنا مُتفوقة بجدارة ضليعة في اللغة الفرنسية؛ لأنني منذ الصغر وأنا أدرس الفرنسية بالمدرسة بجانب اللغة الإنجيليزية، لديَّ أسلوب خاص ومُميز في جعل كُل مَن يعرفني أنْ يشعر بأنني صرت صديقة حميمة.

أنهيت الثانوية العامة بمجموع كبير نوعًا ما التحقت بكلية تجارة إنجليزي، وكُنت من أوائل الدفعة في كل عام إلى أن أنهيت دراستي وبعد وقت ليس بكبير استلمت أيضًا عملي داخل أحد البنوك، كان عملًا بلا أحداث جديدة فهو عمل روتيني، وهذا لمْ يزعجني فأنا إنسانة روتينية نوعًا ما.

بعد ما يُقارب ثمانية أشهر كنت تعرفت على أصدقاء جدد بالعمل، وتوطدت علاقتنا كثيرًا فكانت تجمعنا العديد من المناسبات معًا،

أصبحنا شبه عائلة صغيرة نظرًا لتواجدنا كُل يوم بالعمل ماعدا العطلات الرسمية وكان لنا زميل قد أوشك على الزواج، وقد حان الموعد وبالفعل ذهبت مع أصدقاء العمل وهناك قابلته لأول مرة، قابلت سليم كان صديقًا مقربًا من زميلنا المتزوج –صاحب الدعوة– جلس معنا على نفس الطاولة وتحدثنا قليلًا، كان مرحًا طموحًا ولديه حس فكاهي رائع، انجذبت له وأحسست بانجذابه لي لمْ تُطل جلستنا سويًا وكنت قد استأذنت من أجل الذهاب.

أصبحتُ مُقبلة على الحياة أكثر، كنت أُعيد أحداث هذه الليلة المميزة في حياتي كل ليل قبل النوم، وكأنني أُشاهد فيلمي المفضل –إن كان لي– مر أسبوعان على هذا اللقاء، وكنت جالسة في العمل كالمعتاد وإذا بسليم يقف أمامي بوجهه المُبتسم وألقى السلام وقال إنه يريد محادثتي في أمرٍ ما. طلبت منه أنْ ينتظرني خمس دقائق بالكافيتريا المخصصة للاستراحة بالعمل، على أن أنهي شيئًا بالعمل ونتحدث في ما يريد، وبالفعل ذهبت له مسرعًا وكان قلبي ينبض بشدة لا أعرف ما السبب.

يعمل سليم في مكتب مُحاسبة كبير يمتلكه والده فهو من عائلة مرموقة عندما تخرج من الجامعة، كانت الوظيفة المثالية بانتظاره لمْ يحمل عبء انتظار الوظيفة كما قال، ثم قال: بصي يا ستي باعتبار أنَّ أنا تقريبًا

المدير المسؤول في المكتب، فأنا بقترح عليكي تشتغلي معانا وهاخد كمان فتحي وبسمة ها إيه رأيك؟

لمْ أستغرق وقتًا طويلًا في التفكير فقط ابتسمت له، وقلت: وهنبدأ امتى؟؟

تعمقنا في حياة كُل من الآخر كثيرًا أصبحنا لا نفترق إلا عند النوم وفي أوقات العمل المُختلفة، كان الهاتف والمُحادثات الإلكترونية تقوم بما عليها فعله مَن تواصل مر على عملي معه ما يقرب من عام، وفي نهاية العام تمت خِطتبنا، لمْ تكُن الحياة تتسع لفرحتي فأنا تعلقت به تعلق الطفلة البكر بأمها منذ الولادة، ويشهد الله بأنه كان يبادلني نفس الشعور، أعرف تمام المعرفة بأنه أحبني وقتًا ما إلى أنْ كان للظروف رأي آخر.

كان لأهلي مطالب كثيرة نوعًا ما من أجل إتمام الزواج في بداية الأمر، لمْ يعترض أيٌّ من أهله ولكن مع قرب موعد الزواج حدث خلاف عائلي كبير، وعلى أثره لمْ يكتمل أي شيء وافترقنا ولكن افتراق ظاهري استمرت علاقتنا في التواصل دون علم الأهل، وبعد فترة قصيرة قررنا أنْ نفترق نهائيًا ولكنني كنت أحبه، وأحاول استرجاعه بكل الطرق وفشلت.

كان قد مر على وجودي بالعمل عامان، وقد قال لي المدير إنَّ هُناك ثلاثة موظفين جدد حديثي التخرج، سوف يعملون معانا وطلب مني ومن زميل آخر تولي مهمة تدريبهم وقد كان بالفعل جاء الموظفون الجدد، كان منهم شاب يُدعى يوسف مِن عائلة مرموقة، وكان له هيئة مختلفة عن باقي الموظفين كانت هيئته أقرب للرسام، أعجبت به وجذبني منذ ألقيت عليه نظرتي الأولى فهو ذو شخصية مُختلفة لديه حس فكاهي وكان جسمه رياضيًّا.

كنت أبذل كُل محاولاتي في التقرب منه ومحاولة جعله يثق بي مع العلم، بأنني كُنت أعلم بأنه مُرتبط عاطفيًّا بأُخرى ولكن ذلك لمْ يمنعني من التقرب له، أصبحت في وقت قصير صديقته المُقربة داخل العمل كان يقص لي دومًا عن مشاكله مع أهله وعدم قدرته على إقناعهم بإتمام الزواج منها، كنت أستمع منه جيدًا لأحدد ما هي نقط الضعف وكثيرًا ما تخيلت نفسي مكانها، حكيت له أيضًا عن خطيبي السابق وعن مدى حبي له ومحاولاتي في الرجوع له.

كنت قد فشلت مرارًا مع سليم تمنيت كثيرًا أن يتمسك بي كما يفعل يوسف في كل تصرفاته تجاه حبيبته، تخيلت نفسي مكانها وبأنني بطلة حياة يوسف، وقلت في قرارة نفسي لمَ لا أكون أنا حبيبته وهنا ظهر التفكير العقلاني الذي أتميز به، وقد قررت بأن يوسف شخص لطيف

ومن الممكن أن أغرم به، وقررت البعد عن أطلال سليم وهدمها بدلًا من البكاء عليها.

كنت أحيك خيوطي حوله كالعنكبوت، فأنا أعلم بأنه مُتيم بخطيبته، وهي شريكته في كل شيء يحكي عنها مرارًا وتكرارًا ولا يمل أو يكل عن الحكايات عنها، يذكر اسمها في بداية كل شيء ونهاية أي شيء، كانوا على وشك الزواج رغم مُعارضة الأهل، ولكن ذلك لم يمنعني من المحاولة في اختراق الحواجز بينهم والاستيلاء عليه، وقد كانت كل الظروف صديقة لي.

كنت أعلم كُل تفاصيل علاقتهما سويًا وما المشكلات التي تقع في طريقهما، وكثيرًا ما أوحيت له بأنَّ كُل هذه المشكلات لا وجود لها في أي مكان في حياتي، فهي كانت من عائلة متواضعة ماديًا ووالداها مُنفصلان ولديها أسرة غير مستقرة في كل شيء، وذلك نقيض حياتي فأنا والدي ذو شأن في المجتمع، ولدينا عائلة كبيرة وممتلكات أيضًا فأنا حياتي مرفهة عكس ما يواجهه مع حبيبته.

كنت بالنسبة له بئر الأسرار فكان يحكي لي كثيرًا حتى أوجد له الحلول، وكان هو بي كالفريسة أخطط له لكي أستطيع الإمساك به دون فِرار.

كنت أتواجد في حياته رغمًا عنه كان يجدني في كل شيء حتى على مواقع التواصل الاجتماعي، كنت أعجب بكل ما يقول حتى لو لمْ أقرأه وقد علمت منه بأنَّ خطيبته كثيرًا ما تستاء من وجودي بالشكل المُبالغ فيه، وكنت أقول له: أنت زي أخويا، ياريت لو نخرج كُلنا وأتعرف عليها.

كان يوسف قد تغيب عن العمل يومين ولم يكن يرد على مكالماتي له، وفي اليوم الثالث جاء وكان في حالة مُزرية توجهت له على الفور، وقلت له: مالك! أنت فين كل ده، ومبتردش ليه؟! كان حديثي له ليس حديث زميلة لزميل أو أخت لأخوها بل لهفة حبيبة.

قال وهو مطأطئ الرأس: حصل مشكلة كبيرة بينا وتقريبًا مبنتكلمش ومش قادر أتكلم معاها ولا مع أي حد، وهنا لمعت عيني وكأنني فزت في سباق كبير كُنت له الشخص الحنون نتحدث ليل ونهار، ونتقابل في غير مواعيد العمل، أعلم علم اليقين بأنه معي كخيال وبأن روحه تطوف حولها ولكن ذلك لمْ يوقفني خطوة.

استمررنا في مرحلة إنكار الحقيقة لمدة شهر كامل، وبعده كنا على موعدنا اليومي في مكالمات منتصف الليل، ولكن الهاتف لمْ يجِب اتصلت كثيرًا دون فائدة، وبعد أكثر من ساعتين هاتفني واعتذر معللًا بأنه كان يتحدث مع خطيبته وبأن كل الأمور انعادت لمكانها، وقع الخبر على مسامعي كالصاعقة، وكأنها هي من تحاول أن تفرق بيننا وليس العكس،

تمنيت له أن تستقر الأمور وطلبت منه إنهاء المكالمة مُتعللة بأنني أشعر بالنعاس.

لم أهدأ في ذلك ليس لأنني متيمة به ولكنه أصبح من ممتلكاتي وقد أعلنت الحرب.

كنت واثقة بأنَّ بداخله شيء مُنجذب لي وكنت أعرف نقاط ضعفه، فتجاهلته لكي أُعِد خطتي من جديد ولكن الظروف كان لها آراء أخرى وكانت حليفة لي، لمْ يمُر شهر على عودتهما سويًا وكان الفراق طريقًا لهم، على غير المعتاد منذ أن عاد لخطيبته هاتفني ليلًا ترددتُ كثيرًا في الرد ولكني أجبت عليه، كان صوته حزينًا مكسورًا وقال إنهما افترقا بلا عودة، حاولت أنْ أهدأ فضلًا مِن تهدئته، كان قلبي يرقص فرحًا، تحدثنا في أمور عدة حاولت أن ننساق بعيدًا عنها لإخراجه من محنتها.

لم يمُر٣ أيام وكُنا أعلنا ارتباطنا رغم مفاجأة كل مَن بالعمل وكل من يعرف قصته، ولكن كان الرد جاهزًا دومًا بأن للنصيب رأي آخر، كنت أتعمق كثيرًا مع عائلته أفعل ما فشلت هي في اجتيازه حتى؟

أصبحت بنبوناية العائلة كما كانوا يقولون لي، وطلبت منه أن يناديني بـ"لوزة " كنوع من التفرد.

لمْ يكُن سعيدًا بل كان يعيش أتعس أيامه فهي ما زالت معنا روحها في كل شيء يفعله، كل مكان نذهبه هي متواجدة تمنيت لو تختفي من العالم أجمع كي أستريح ولكنه سيتعلق بها أكثر، كان يقول اسمها كثيرًا لي ولكنه سرعان ما يتذكر بأنها ماضٍ، كنت أستعجل في إتمام الزواج سريعًا وكان هو بعيدًا كل البعد عن استكمال كل شيء كنت أجهز بيتنا وحياتنا مع أهله فقط، أما هو فكان يعيش بلا روح كان هائمًا يبحث عن روحه التي رحلت بعيدًا واختفت.

قبل زواجنا بشهر أو أكثر كان في حالة يُرثى لها، وقال لي إنه يريد التحدث معي بشأن أمر هام انتفضت وشعرت بالقلق أيريد أن ننفصل؟ أيريد أن يتراجع عما بدأته! انتشلت نفسي من الأفكار التي أرقتني، وقلت له: "فيما تريد أن تحدثني كلي آذان صاغية".

- أنا حاولت وبحاول أكون معاكي بس مش قادر أو مش عارف أنا لسه بحبها، وعارف إن كلامي هيوجعك بس غصب عني، مش عايز أظلمك معايا مش عايز أكسر قلبك بس مينفعش أعيش مبسوط وسعيد في حياة جديدة مع حد غيرها، وأنا متأكد إنها بتموت ألف مرة كل ثانية، أنا آسف.

تمت

(٢)

عندما تعرف روحك روحي معرفة تامة، فإن

كلا الروحين يتذكر أنهما كانا روحًا واحدًا في

الماضي.

"جلال الدين الرومي"

فكانت هي روحي وما زالت فهي تسكن داخل ضلوعي وطيفها يحاوطني في كل خطوة أخطوها؛ فأنا بارع في الكذب وأوهمت كل من أعرفه بأنني وأخيرًا تمكنت من الانتهاء من حبك، وها أنا مُشرِف على حياتي الجديدة مع أُناس غيرك.

تخيلت بأنك أصبحتِ الماضي وأنني أستطيع العيش دونك، وبالفعل تعرفت على هنا كنت أهرب منك ومن تفاصيلك التي أصبحت تطاردني في كل مكان حتى في أحلامي، تركتك جانبًا وقطعت وعدًا لنفسي بأنك انتهيتِ من حياتي للأبد، أعرف بأنني قسوت عليك وقسوت أيضًا على نفسي تركتكِ وحيدة دون سابق إنذار، ولكن لم أكُن سعيدًا كما تخيلت وأيضًا لم أكن حزينًا بل لمْ أكُن موجودًا، كنت كالذين

فقدوا ذاكرتهم وأصبح ماضيهم وتاريخهم في قاع البحر مجهولًا بعيدًا لا يستطيع أحد الوصول له.

أعرف بأنني كنت الشخص السيئ في قصتك وأيضًا أصبحت الشخص القاسي في قصة هنا، ولكن لم أكن المذنب الوحيد فأنتِ وعدتِ بأنكِ ستكونين الحاضر والمستقبل ولكنك رحلتِ فور تركي لكِ، وأيضًا هنا وعدتك بأنها ستكون الصديقة الوفية ولكنها كانت تريد ما هو أكثر من صديقة، وأنا وعدتك بأنني سأكون ظلك مهما كان ولكنني شرخت هذا الظل ووعدت هنا أنها ستكون بداية جديدة ولكن بداية بلا روح.

عندما تريد أنْ تقطع شجرة لأنها تُعيق طريقك فلا بد من اقتلاعها من جذورها، وأنا فشلت في اقتلاعك من قلبي وكانت كل محاولاتي فاشلة مثلي، فكنت أهرب من التفكير في علاقتنا عفوًا من التفكير في حل المشكلات التي تُثار حول علاقتنا من الآخرين.

أحببتك من كل قلبي ومن أعماق أعماقه ولكن حبك كان أساسًا لهدم حياتي وعلاقتي بأهلي؛ لذلك قررت التخلي عنك فكفة الميزان ربحت لهم، وأعرف بأنك تُسامحينني كنتِ دومًا تحثينني على أن أكون بارًا بأهلي، وكنتِ تقولين بأنكِ فخورة بي وواثقة بأنني الأمان والسند، وها أنا أتركك بكل سهولة وعلى مَشارِف حياة أخرى مع أُخرى.

تعرفين جيدًا بأنني حاولت كثيرًا استكمال حكايتنا ولكن القدر لمْ يشأ، ولأنك تعرفينني معرفة تامة فلمْ يكُن من السهل أن أكمل حياتي دون الهروب وهنا كانت موجودة تنتظر فلمَ لا؟ أعرف بأنني لست بالشخص المثالي ولكن لست بالشيطان، فكان العقل والمنطق يقول بأنها مناسبة انجذبت لها كانت كل الأمور سهلة وتسير بسرعة تفوق البرق، عكس ما كنت أعيشه معك فنحن مكثنا سنتين كاملتين نقنع كل الأطراف بقبول العلاقة، ومكثنا ثلاث سنوات نحاول إتمام زواج ليس مُقدر له أن يتم.

هنا كانت مثالية وعملية وذكية ذكاءً حادًّا كانت تفكر وتخطط كل شيء، وما كان عليَّ إلا القبول والطاعة كنت دومًا أنجذب للفتيات الطامحات، والذين لديهن عقل مُدبِر فهن مريحات ونحن معشر الرجال لا يهمنا سوى الراحة وقلة الكلام ومتعة أكل الطعام وهي للحق كانت تجيد ذلك، كنتِ النقيض لا تجيدين طهو الطعام ولكنني كنت أعشق وقت الطعام معك، فكانت هناك لذة خفية أشعر بها عندما تجلسين وأنتِ مُنهمِكة في اختيار صنف جديد في مطعم ما، أو عندما تُصِرين على السفر لمجرد الوقوف على الطريق لتناول الطعام.

كنتِ كثيرة الكلام وثرثارة فلديك القدرة على الحديث صباح ومساء، دون التوقف كُنتِ تقولين كل التفاصيل التي تمر بيومك والتي

تزور خاطرك، كنت أفهمك من طريقة كلامك إذا تكلمتِ كثيرًا وكنتِ تضحكي بطريقة مبالغ فيها فأنتِ على الأرجح متوترة وخائفة وحزينة، أما إذا كُنتِ هادئة فأنتِ تفكرين في موضوع ما، وغيرها الكثير، ولكن هنا كانت تعي أنني رجل وليس لي خُلق فنحن كما يقال خُلقنا ضيق، كانت تكتفي بقول الأشياء التي تُحب أنْ أعرفها وباقي الأحاديث كانت مدحًا في حياتنا المثالية، وأوقات كنت أشعر بأنها تريد من علاقتنا أنْ تكُون كالعلاقات الكاملة المثالية المُمِلة والكئيبة.

بحثت عنكِ كثيرًا ولم أجدك وبحثت عن نفسي أكثر، ووجدتني ضائعًا ما بين هُنا وهُناك كانت روحي حبيسة في قلبك، وكان عقلي يفكر مع هنا ولكن لم أستطع المواصلة الحرب أنهكتني، أشعر بأنني أخونك وأشعر بأنكِ تحتاجينني وتبحثين عني فأنا وأنتِ روح واحدة حائرة ضائعة، كنت أعيش في صِراع ما بين الهروب مرة أخرى للبحث عنكِ وبين الاستمرار مع هنا من أجل الحياة من أجل كل شيء.

صِراع كاد أن يُقضي عليّ كُنت أختار كل شيء في حياتي الجديدة بعينك أنتِ، أنا آسف فأنا خائن صنعت حياتنا التي حلِمنا بها سويًا مع أُخرى، ولكن لم أستطع استكمال حياة لم أجد نفسي بها.

كُنت على وشك إتمام الزواج ولكن عندما ارتديت بدلتي الجديدة من أجل إنهاء كل التجهيزات لم أرَ غيرك أمامي في المرآة، كانت أطرافي

ترتجف وقلبي يصرخ وأنا بكتب بيدي نهاية لحياتك التي لم تكُن بأحسن حال، تخيلت ماذا ستفعلين عندما تعرفين بزواجي وبأنني أُحقق أحلامنا دونك، إلى من ستهرُبين وأنا كُنت ملاذك الأول والأخير؟!

هنا لم يكن القرار سهلًا بل هو قرار مُرهِق ومُتعِب ولم أتخذه في يوم وليلة، ولكن قلبي ليس معي وبالتالي لا أستطيع أن أعطيكِ ما ليس معي، أعرف بأنني من الممكن أن أكون قاسيًا أو ظالمًا كما يقال ولكنك تعلمين بأنني لست بذلك الشخص، أعتذر لما سببته لكِ وعن وعدي بالحياة المشرقة ولكن أنتِ مَن أصررتِ على مُضيّ الطريق معي، وكُنتِ تعلمين بأنَّ قلبي مُعلَّق بها وأن روحي حبيسة بداخلها، لا ألومك ولا أُعاتبك بل أنا المُذنِب والجاني وأنتم المجني عليهم في حياتي.

تمت

كنا نتلاقى

من عيشة

(١)

الجحيم فارغ، كُل الشياطين هنا

ويليم شكسبير

فأنا تعيسة تعيسة جدًا اليوم أتممت عامي الأربعين، وما زلت أشعر بأنني طفلة فقدت كل عالمها وأحلامها، فقد رحل كل مَن في الجوار منهم من رحل بلا إرادة ومنهم مَن رحل بكل إرادة، وأصبحت وحيدةً ضائعةً تائهةً لا أعرف أين أجد الطريق، كطفلة ضائعة في عالم الألعاب الكبير.

نشأت في أسرة بسيطة لدينا حياة كريمة وهادئة أب وأم وأخ يصغرني بخمس سنوات، كنت مدللة ولكن دلال جميل وليس بالدلال الذي تشمئز منه، كان أبي وأمي يهابان أي شيء يمسني كثيرًا ما كُنت أشعر وكأنهما يرونني كالزجاج سهلة الكسر، وبالفعل كنت تلك الفتاة فأنا لا أعرف أهي طبيعتي أم هم من صنعوها؟

كُنت في دراستي مِن المتفوقين على عكس أخي الذي أرهقهم كثيرًا في تعليمه، فكانوا دائمًا ما يتخذونني مثالًا أعلى له، كانوا يريدون له أن يحظى بحياة علمية تشبه حياتي، ولكن هو لم يكن يحب ذلك، كان له

مهارات أخرى هم لم يقتنعوا بها فهو يعشق كل ما هو يدوي لديه حس راقٍ في الفن؛ أما أنا فقد تخرجت من كلية السياسة والاقتصاد وبدأت العمل فور تخرجي، وانخرطت في حياتي الجديدة وإنْ كان أهلي ما زالوا يتكفلوا بجزء كبير من مصاريفي الحياتية والشخصية، فهم لم يقتنعوا أبدًا بأنني كبرت وأصبحت من النساء العاملات.

لم أكُن على قدر كبير من الجمال ولكن كنت فتاة عادية جدًا ملامحي بسيطة طولي ووزني مناسبان، ملابسي كانت هي الأخرى عادية بسيطة وهادئة أميل للألوان القاتمة، ولا أحب ارتداء الكثير من الحلي يكفي شيء واحد بجانب ساعتي المُفضلة، لستُ بالاجتماعية ولا المنغلقة فلديَّ دائرة أصدقاء ولا هي قريبة ولا بعيدة فهي علاقة وسطية، أميل إلى الطبيعة أكثر من التكنولوجيا وأحب الهدوء القاتل والظلام أُفضِل التنزه بمفردي والسفر أيضًا بمفردي وكذلك العمل، يحسبونني انطوائية لكن هذه هي طبيعة شخصيتي (العزلة).

علاقتي بأمي وأبي وأخي كانت قائمة على الصداقة والحب الخالص، لذلك لمْ أكُن أحتاج للكثير من العلاقات في حياتي، فكانت حياتي شبه مُقتصرة عليهم ولكن مع مرور الوقت اكتشفت بأننا لمْ نكُن نعيش في العالم المثالية، ولا العالم كان يحملنا نحن الأربع في طياته ولا يحمل غيرنا ولكن كان الأوان قد فات ورحل على معرفتي بذلك.

هل ستصدقني القول بأن عقلي لمْ يكُن يشغله ما يُسمى بفكرة الجواز أو العلاقة الطبيعية ومراحل الحياة العادية، فمثلًا في فترات دراستي ما قبل الجامعة كان كل ما يهمني هو التحصيل الشاق من أجل الحصول على مجموع كبير للدخول للكلية التي أتمناها وهذا ما فعلته، ثم في الجامعة أيضًا كان الحصول على تقديرات عالية لتساعدني في مشواري فيما بعد، حتى أهلي لم يتحدثوا معي في مثل هذه الأمور كانوا يرون بأنني ما زلت صغيرة والأهم هو مستقبلي.

في العمل كُنت كثيرًا ما أقسو على نفسي في سبيل الفخر بما أفعله، ولكَ أنْ تتخيل علاقاتي بالجنس الآخر فهي تكاد تكون منعدمة؛ فلم أكن أعرف كيفية الرد عليهم خارج نطاق العمل، وبداخله كثيرًا ما كانت تلازمني سماعات الأذن وهاتفي والاستماع لأي شيء، خوفًا من ترك المجال أمامهم للحديث.

إلى أن قابلتك ولم يكُن السلام عابرًا بالنسبةِ لي.

"أُحبك ليس لما أنتَ عليه، ولكن لِمَ أكون عليه عندما أكون معك"

روي كروفت

كانت الحياة تسير كما اعتدت عليها، في الصباح الباكر أتهيأ للذهاب إلى العمل وهناك أقوم بما أقوم به تقريبًا، كل يوم أُنهي عملي وأذهب إلى المنزل مسرعةً أتناول وجبة الغداء مع أهلي، ونجلس سويًا لمشاهدة أي شيء وبعدها أجلس في غرفتي للقراءة أو مُطالعة ما هو جديد في مجال عملي، وإذا كنت ذا مزاج لطيف أترك المنزل من أجل التنزه قليلًا وأحيانًا كثيرة ما أكون بمفردي.

كنت قد عزمت على استكمال دراستي بجانب العمل وبالفعل أنهيت تقديم أوراقي من أجل الدراسات العليا وكانت الدراسة بدأت، كانت المحاضرات لا تشكل عِبْئًا على حياتي بالعكس فهي كانت تشغلني بقدر كبير، وأنا كنت أُحِب الدراسة بشكل عام في هذا الوقت كان يتردد بعض من الأشخاص مِن أجل خطبتي كما هو معتاد في مجتمعنا، كل فترة ليس بالقريبة كان يأتي شخص قريب لقريبة قريبتنا، أو معرفة لأحد أصدقاء أمي أو غيرهم، لم يكُن منهم أحد كُنت أعرفه من قبل، هذا الموضوع لم يكُن سوى المقابلة الأولى فقط وأرفض الموضوع شكلًا وموضوعًا، كما أن أبي كان يخاف أن يجرحني أي شخص وأنا ذو طِباع مُختلِفة عن كل الذين تقدموا.

انتهت أول سنة في دراستي الجديدة مع ثلاث عرسان مرفوضين ليس عيب فيهم، ولكن لم أكُن أجرؤ على هذه الخطوة بعد.

كُنت في الجامعة من أجل التعرف على النظام الجديد للسنة التالية وقد تقابلنا سويًا دون أن يعرف أحدنا للآخر، كُنت أقف أمام مكتب السكرتارية وكنت في حالة مزرية شكلًا أنهيت عملي وجئت الجامعة مسرعةً، على أمل أنْ أجد ما أبحث عنه ولكن كنت أنت من وجدته.

فكان اللقاء عاديًّا بل أقل من العادي فعندما دخلت للمكتب وجدتك تجلس في الكرسي المقابل للمكتب القديم، الذي يسكن مُنتصَف الغرفة كنت تحمل قلمًا أزرق به زر صغير تضغط عليه ليصدر صوتًا صغيرًا ولكنه يوترني، أتذكر جيدًا الحديث الذي دار بيننا:

كاميليا: مساء الخير.

زياد: مساء النور.

كاميليا: أقدر ألاقي مدام ياسمين فين؟

زياد: أنا قاعد مستنيها معاها تليفون وربع ساعة وهتيجي تحبي أبلغه..... وهنا قاطعتك دون أنْ تُكمل وقلت من فضلك الصوت ده بيعصبني جدًا، وتركتك خلفي ورحلت ولم أكمل يومي في الجامعة بل قررت أن أذهب إلى المنزل، كنت أود أجري كثيرًا أهرب ولكن مِن ماذا؟ اكتشفت أنني هربت من أجلك فأنت اخترقتني منذ اللقاء الأول بل كما يقولون من النظرة الأولى.

لمْ يكُن هناك ما يميزك كنت بسيطًا في ملابسك بسيطًا في جلستك، ملامحك هادية، ولكن لا أعرف لمَ انجذبت لنظرة عينيك، وشعرت بأنك قرأت كل ما أُخفيه بداخلي وهذا الشعور أحسسته لأول مرة، عندما رأيتك ليس بالشعور الذي يخيف بل أحسست بالأمان لدرجة جعلتني أهرب منك ومن نفسي.

بعد يومين استجمعت قواي وذهبت للجامعة لبدأ أولى المحاضرات، وكنت أستعد داخل قاعة المحاضرات وفجأة أصابني ما أصابني مسبقًا فور رؤيتك مجددًا، ويا مصيبتي فلمْ تكن تجلس في القاعة مع باقي الحضور، بل كُنت أنتَ المُحاضِر الجديد الذي سَيُدرِس لنا.

كنت أتحاشاك كثيرًا وأنتَ كنت انتبهت للمُعاملة التي أتعامل بها معك ولأسلوبي غير اللطيف، ولكن كنت دومًا أترسم لي ابتسامة صافية بكل صدق، وانتهينا من الفصل الدراسي الأول وكان هناك مجموعة من الطلاب قرروا عمل حفلة صغيرة بمناسبة النجاح، وقربنا من الانتهاء من الدراسة وكنت أنتَ حاضرًا، لمْ تكُن كبيرًا في السن بالنسبة لمعظمنا أو بالأخص بالنسبة لي فالفرق بيننا كان ثلاث سنوات، وكنت في هذه الحفلة مُندمِجًا معانا بشكل كبير فكنت قد خلعت عباءة المُحاضِر، وتحدثنا كثيرًا واكتشفت أنكَ تعرف عني الكثير لدرجة أربكتني فكنت تعرف من هو مُطربي المفضل مشروبي المعتاد، تعرف

أيضًا ألواني المفضلة في اختيار الملابس وأشياء كثيرة جدًا جعلتني أشعر بصدمة، وكانت عيناي مُتسِعة طوال الوقت لما أسمعه منك يخصني هل كُنت مهتمًّا بي كل هذه الفترة دون علمي؟ هل كُنت تشعر بما أشعر به وأُجاهِد مِن أجل أنْ أُخفيه عنكَ حتى عن نفسي؟

"هناك مَن يطرقون الباب لبيع الهواء،
ونحن لسنا في حاجة لهم ولكن مع الإلحاح
نقبل بها، وعندما نحتاج لهذا الهواء يكون
قد هوى".

هذا ما فعلته أنتَ معي في فترة قصيرة جدًا كُنا قد أصبحنا من الأصدقاء المقربين، لم تكن قد صرحت بأي شيء من مشاعرك تجاهي، وبالفعل أنا لم أقل شيئًا ظللنا في منطقة محايدة لم نعرف لها مُسمًّى فهناك ما يطلقون عليها (فريند زون)، وهناك من يقول (البدايات والاستعباط) ولكن كنت أحافظ على مُسمَّى صداقة وزمالة، وبالفعل استمر الحال إلى انتهيت من دراستي وكنا كما كنا نتقابل بِاستمرار ونتحدث يوميًا، وما زلت تحفظني وتقرأ تفاصيل حياتي دونَ أنْ أنطق بشيء، ولكن هناك شيء جديد طرأ وهو أنك صارحتني أخيرًا بمشاعرك تجاهي، كُنا مُجتمعين مع بعض الأصدقاء المُشتركين في مطعم كعادتنا، كُنت تأخرت عن الموعد بنصف ساعة وعندما أتيت كنت قد استأذنت من أصدقائنا

وأخذتني، وقررت أن نتمشى سويًا لشراء أشياء لم تقُل ما هي وبالفعل كنا نقف أمام محل يبيع الورود وفجأة أنتَ دخلت وخرجت على الفور، وأنت تحمل باقة من أجمل ما رأيت ومزينة بالورود والشوكولاتة التي أُفضلها، وكانت عيناك تنطق قبل لسانك وأنت تقول لي همسًا أُحبك أُحبك يا كاميليا.

لمْ أتمالك أعصابي فكان كُل جزء فيَّ يرتعش والدموع تنهمر مِن عيني، كانت هذه اللحظات الصادقة تمر وكأنني أطير وأرقص عاليًا في الفضاء الواسع، وكأنَّ العالم كله توقف وسكن امتنانًا لإحساسي ومشاعري.

كانت علاقتنا تشبه العلاقات التي خُلقت مِن أجل أنْ تُكمِل، فكلانا يُكمِل الآخر ويهتم كلٌّ مِنا بتفاصيل الثاني واهتماماته.

حياتي معكَ كانت كُلها سعادة يتخللها بعد من المشكلات الصغيرة التي كانت تقوي من علاقتنا سويًا، وإحقاقًا للحق كُنتَ خير رفيق وصديق وحبيب لمْ أشعر يومًا بأنَّ هناك غُربة أو خوفًا منك، كُنتَ الأمان الذي طالما أحسسته وشعرت به منذ الصغر.

كانت حياة تُشبه الأفلام وكنت أنا مُختلِفة لمْ أعُد أُميل إلى العزلة والهدوء إلا في وجودك، أحببت ما تحبه كما أنت أحببت ما أحبه، أصبحنا

مزيجًا من طبعي ومن طبعك ومرت الأيام والشهور في سلامٍ مُريح وحب بسيط.

كنا قد اتفقنا مسبقًا على أن نتقابل في اليوم الثاني احتفالًا بالترقية التي حصلت عليها، وبالفعل كان اليوم المشهود وقد ارتديت أفضل ما أقتنيه ووضعت لمسات بسيطة من makeup وتهيأت للذهاب للمكان الذي دومًا ما نلتقي فيه، كنت تجلس في المكان المخصص لنا وتحمل باقة من الورود التي أفضلها، وجلست وكُنا نتحدث كثيرًا كما هو معتاد ولكن فجأة ودون إنذار توقفت عن الكلام، ونظرت إليَّ بكُل قسوة وقلت لي:

- كاميليا أنا بحبك ومش هعرف أحب حد تاني زي ما حبيتك.

ساد الصمت لثوانٍ وكانت ضربات قلبي تصرخ بداخلي وأنا لا أفهم ماذا يحدث؟ كانت أطرافي ترتجف، ثم قلت له: ما بك؟

استكمل حديثه، وقال لي:

دعيني أُنهي ما بدأته وسكت ثانيًا ولكنه كان ينظر بعيدًا، ثم أسند ظهره على الكرسي وراح يقول.

- إحنا مش هينفع نكمل، مش هينفع يكون في بينا حاجة أكتر من كده.

أنهى ما قاله وتركني غارقة في واقع لا أعرفه مصدومة لمْ أتحرك من مجلسي ولمْ أبكِ ولم أنطق بكلمة، أخذت أتنفس سريعًا وأتمالك نفسي وذهبت إلى غرفتي وتكورت بداخلها ودفنته بداخلي ودفنت نفسي معه.

لماذا فعل بي كل هذا؟!

لمَ لمْ أبكي؟! ولمَ لمْ أعاتبه أو أحاول التحدث معه تركته وتركت نفسي للفراغ فأنا ضعيفة مُشتتة مُحطمة، ضعيفة لدرجة أنني لمْ أستطع البكاء حتى بعد كل هذه السنين.

تمت

(٢)

"الحُبّ لا يحدُث حتمًا من أول نظرة، ولكنَّ النظرةَ الأولى تكفي لاكِتشاف من تربطهم بنا صِلة روحية عسِيّة أنْ تصير الحُبّ نفسه، أليس يقولون إنَّ الأرواح تتخاطبُ بغير إحساسِ البتّة؟! فنظرةٌ واحدة تبلغُ بالرّوح فوق ما تُريد، أمّاً الحب الذي تلدُه الأيام وتُنبّهه المُعاشرة، فمرجِعه على الغالِب العادة أو المَنفعة أو غيرُهما مِن القِيم التي لا تُدرك إلا بالروّية والإمْهال".

نجيب محفوظ

فالعالم مُزيف مُزيف جدًا بكل تفاصيله، وكنت أنا أيضًا مُزيف نشأت في أسرة ترى أنَّ البوح بالمشاعر والعواطف ضعف، وأن الشدة والجفاء قوة وحياة، كان أهلي صارمين للغاية في تربيتنا، حياتنا كانت ميسورة نوعًا ما ولكن لمْ نتمتع بأي شيء سوى الأساسيات فقط، أتذكر لم نقضِ وقتًا سويًا كأسرة في الترفيه أو التنزه، فهم يرون التربية كسجن ولم يعرفا بأنهم صنعوا أطفالًا غير سوية.

كنت أخاف من أي شيء وكل شيء أشعر بالرهبة عند خوض كل شيء جديد، أو لمجرد التعرف على شخص جديد، وأصيب أيضًا بخوف شديد إذا اختفى أحد من حياتي لمجرد أنه مشغول نوعًا ما، وأحس بأنه تركني أُعاني وحيدًا مرة أُخرى.

فقد ترعرت وحيدًا على الرغم من وجود إخوة لي ولكن كل مِنا يحمل بداخله عُقدًا ومخاوف، قادرة على أن يتحملها قوم بأكلمهم، لم أكُن قريبًا من أهلي كما تمنيت فكان الخوف يقف كجدار كبير يَحول بيني وبينهم.

كنت ذلك الشخص إلى أن تخرجت وعملت كمُعيد في الجامعة، وبدأت نوعًا ما في مواجهة مخاوفي نوعًا ما ولكن لم تأتِ المحاولات بثمارها، ولكن لم أفقد الأمل فقد انهمكت كثيرًا في الدراسة والعمل والقراءة على أمل أن أكون شخصًا غير الذي أحياه.

"مَن يدخل مدينة الحب إما يعود طفلًا يحب
كل الأشياء، وإما يخرج منها مُسِنًّا لا يُدرك
إلى أي منفًى ينتمي".

نزار قباني

كنتِ تقفين أمامي وشعرت بأن هناك هالة كبيرة تُحيطك وتجذبني بشدة، رغم قدرتي على المقاومة ولكن هالتك جعلتني أشعر وكأنني مسحور وليس لديَّ القدرة على أن أرمش حتى بعيني، كنت أجاوبك ولكن أنتِ أفقتِني حين أوضحتِ بأن صوت القلم يزعجك ومشيتِ مُسرعةً! أكان الصوت مُزعِجًا لهذه الدرجة؟!

لمْ يمُر الكثير وكنت أجلس أمامك قُرابة الساعتين في أوقات المُحاضرات، على الرغم مِن قوة تركيزي بالدراسة إلا أنتِ كُنتِ محطة التركيز الأكبر، عندما تشعرين بالتوتر تمسكين القلم، وتبدأين في رسم أشكال غير مفهومة بدفتر محاضراتك، وعندما أُلقي مزحات داخل المحاضرة تضحكين بشدة وترجعين رأسك للخلف ثم تضعين يدك على فمك، تحبين أن ترتدي الإكسسوارات الذهبية وتفضلين أشكال الفراشات.

كُنت أرى فيكِ طفلة تجعل من عالمي الكئيب عالمًا مُختلِفًا؛ فكنت مُحِبًّا للحياة مُتشوقًا لمعرفة كل التفاصيل الصغيرة التي تخصك غير مُهتم بكل متاعب الحياة، أعرف بأنني خضت في طريق لا أعلم ملامحه، كل ما كنت أعرفه هو أنني سعيد وأشعر براحة لمْ أعرفها من قبل.

مُنذ زمن كانت أمي تقول إنْ ابنة خالي هي عروس المستقبل لي في بداية الأمر، لم أُبدِ أي اعتراض أو قبول فقط كنت

أتركها تتكلم، فكنت صغيرًا جدًا على أن أتكلم في مثل هذه

الأمور وأيضًا كنت أخشاها؛ أما بعد دخولي الجامعة اختلف الحديث وأصبحوا يتحدثون بصيغة الأمر فالموضوع خارج النقاش، ولا يوجد مجال في الحديث عنه إلا سيحين الأمر.

كنت كالسجين المُقيد داخل قفص من الحديد مدفونًا في أعماق الأرض، لا أرى النور ولا أشعر بالهواء.

أتذكر بعد إنهائي الجامعة وحصولي على وظيفتي كمُعيد كنت فرحًا بما حققته، وكنت في طريقي للمنزل وعندما وصلت كانت أمي تجلس بجوار أبي، وعندما أعلمتهما بمدى ما حققته اكتفوا بقول مبارك، ثم قال أبي:

"لا تنسَ فسوف نزور خالك لخطبة ابنته"، في البداية لم أستوعب ما قاله، ثم قلت له: بابا أنا آسف بس مش عارف أحبها مش عارف أشوفها غير إنها بنت خالي، مش هقدر أعمل كده.

كانت أمي تنظر لي نظرة الابن العاق وقام أبي من مجلسه وتوجه إليَّ، وقال لي:

* وإحنا من إمتى بناخد رأيك في قرارات مصيرية زي دي؟ من إمتى فهمّني؟

- بس أنا اللي هتجوز (كان صوتي منفعلًا ولكن لم أجرؤ على أن أرفع عليه طبقة الصوت)، ولكن أبي لم يفهم ذلك وتخيل بأنني في مشادة كبيرة، وكان رد الفعل أسرع من أي حديث ولم أشعر وقتها إلا بصفعة قوية على وجهي أفقدتني توازني، وأيضًا فقد معاها كل بواقي الثقة التي كنت أحملها بداخلي لهم.

زرنا خالي وكانت أشبه بالزيارات العائلية وكان هناك الكثير من الغمز بين جميع الأطراف، وعبارات من (عقبال بيتكم) (الأكل جميل يا عروسة) وكلمات ثقيلة على قلبي، كنا في البيت قد عقدنا فترة هدنة وتخيلت بأنهم تخلوا عن الموضوع كله احترامًا لي ولمشاعري، ولكن كان هناك ما هو أكبر من ذلك في وجهة نظرهم، فهم حددوا الزواج منذ زمن ولا يستطيع أيٌّ منا العدول عن رأيه، وخصوصًا وأن ابنة خالي مُتعلقة بي دون أن أفعل أي شيء.

في عالمي الآخر لم أقتصر عليكَ أنتِ فقط كنا نتقرب من بعضنا رويدًا رويدًا وأصبحنا نتقرب بشكل سريع، كنت أتحدث إليك براحة لم أعهدها من قبلك، كنتِ كالفراشة الحالمة التي تطير في البستان دون أي قيود طفلة مرحة مع عقل كبير واعٍ، وقلب يحتوي على حب ليس له مثيل. تناسيت من أكون لمْ أكُن أعرف غير أنني مُتيم بحبك؛ فعالمي معك كان وما زال مُختلِفًا وكأن الكون كله كان مقتصرًا علينا.

أعترف بأنني ضعيف وسلبي ولا أستحق وجودك في حياتي تركتك بكل سهولة، دون حتى أن أعلمك ما هي أسبابي؟ سمحت لنفسي بالتقرب منك وأنا أعلم كل العلم بأننا نسير في طريقين لا يلتقيان، ومع ذلك أصررت بالخوض فيه، تخيلت بحياة أخرى وتعمقت في عالمي الثاني الذي يحتويكِ تخيلت بأننا سنعيش في أحلامنا الجميلة، دون أن نستيقظ على كابوس مزعج وسمحت لكِ أن تسبحي في بحر أحلامي دون أنْ أنبهك أنه حلم خيالي لا وجود له، فأنا صنعت معك حياة وهمية.

سامحيني لمْ أكُن أنوي الغدر بك فعندما تقابلنا وتحدثنا سويًا كنت نسيتِ تمامًا من أكون، كُل ما تذكرته وقتها بأنك الحلم البعيد الذي بات يقترب بعد طول انتظار، تمنيتك من كل قلبي وما زلت أتمناكِ، كانت روحك المرحة تطغى على كل ما أعيشه في حياتي الأخرى، لمْ أكُن أعلم مدى بؤسي ويأسي وقلة حيلتي.

فأنا حقًا مزيف أكان ما أشعر به حبًّا أم كان هروبًا؟ أكنتِ حبًّا حقيقيًّا أم مرحلة انتقالية أعيشها قبل البدء في حياة جديدة؟!

تمت

الفهرس

***



ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339